في ظلال الغدير

تأليف
السيد جمال محمد صالح

مقدّمة المركز

إهداء

ديباجة الكتاب

الفصل الثاني

(١) تواتر حديث الغدير

(٢) مصادر علماء السنّة

(٣) بعض من صوّح من

الفصل الثالث

في ظلّ تداعيات الغدير

الفصل الرابع

فلسفة حديث الغدير

الفصل الخامس

في انتظار الزمن الذي لم يأتِ بعد!

الفصل السادس

رواة حديث الغدير من الصحابة

خاتمة

سلسلة الرحلة إلى الثقلين

(٣٨)

في ظلال الغدير

تأليف

السيّد جمال محمّد صالح

مركز الأبحاث العقائدية

إيران . قم المقدّسة . صفائية . ممتاز .رقم٣٤

ص . ب : ٣٣٣١ / ٣٧١٨٥

الهاتف : ٧٧٤٢٠٨٨ (٢٥١)(٠٠٩٨)

الفاكس : ٧٧٤٢٠٥٦ (٢٥١)(٠٠٩٨)

العراق . النجف الأشرف . شارع الرسول صلى الله عليه و آله و سلم

شارع السور جنب مكتبة الإمام الحسن عليه السلام

الهاتف: ٣٣٢٦٧٩ (٣٣) (٩٦٤+)

ص . ب ٧٢٩

البريد الإلكتروني: info@aqaed.com

الموقع على الإنترنت: www.aqaed.com

شابك (ردمك) : ٨ – ٥١٦ – ٣١٩ – ٩٦٤ – ٩٧٨

في ظلال الغدير

تأليف

السيّد جمال محمّد صالح

طباعةوإخراج : ضياء الخفّاف

الطبعة الأولى ٢٠٠٠ نسخة

سنة الطبعة ١٤٣٢هـ

المطبعة : ستارة

جميع الحقوق محفوظة للمركز

الصفحة 3
الصفحة 4
الصفحة 5
الصفحة 6
الصفحة 7

مقدّمة المركز

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة على خاتم

المرسلين محمّد وآله الغرّ الميامين

من الثوابت المسلّمة في عملية البناء الحضاري القويم، استناد الأُمّة إلى قيمها السليمة ومبادئها الأصيلة ، الأمر الذي يمنحها الإرادة الصلبة والعزم الأكيد في التصدّي لمختلف التحدّيات والتهديدات التي تروم نخر كيانها وزلزلة وجودها عبر سلسلة من الأفكار المنحرفة والآثار الضالّة باستخدام أرقى وسائل التقنية الحديثة.

وإن أنصفنا المقام حقّه بعد مزيد من الدقّة والتأمّل ، نلحظ أن المرجعية الدينية المباركة كانت ولازالت هي المنبع الأصيل والملاذ المطمئن لقاصدي الحقيقة ومراتبها الرفيعة ، كيف؟! وهي التي تعكس تعاليم الدين الحنيف وقيمه المقدّسة المستقاة من مدرسة آل العصمة والطهارة عليهم السلام بأبهى صورها وأجلى مصاديقها.

هذا، وكانت مرجعية سماحة آية الله العظمى السيّد علي الحسيني السيستاني ـ مدّ ظلّه ـ هي السباقة دوما في مضمار الذب عن حمى العقيدة ومفاهيمها الرصينة، فخطت بذلك خطوات مؤزّرة والتزمت وامج ومشاريع قطفت وستقطف أينع الثمار بحول الله تعالى.

الصفحة 8

ومركز الأبحاث العقائدية هو واحد من المشاريع المباركة الذي أسّس لأجل نصرة مذهب أهل البيت عليهم السلام وتعاليمه الرفيعة.

ولهذا المركز قسم خاصّ يهتمّ بمعتنقي مذهب أهل البيت عليهم السلام على مختلف الجهات ، التي منها ترجمة ما تجود به أقلامهم وأفكارهم من انتاجات وآثار – حيث تحكي بوضوح عظمة نعمة الولاء التي مَنّ الله سبحانه وتعالى بها عليهم – إلى مطبوعات تزّع في شتّى أرجاء العالم.

وهذا المؤلَّف – « في ظلال الغدير » – الذي يصدر ضمن «سلسلة الرحلة إلى الثقلين» مصداق حيّ عملي بارز يؤكدّ صحّة هذا المدّعى.

على أنّ الجهود مستمرّة في تقديم يد العون والدعم قدر المكنة لكل معتنقي المذهب الحق بشتى الطرق والأساليب، مضافا

إلى استقراء واستقصاء سيرة الماضين منهم والمعاصرين وتدوينها في «موسوعة من حياة المستبصرين» التي طبع منها عدّة مجلّدات لحدّ الآن، والباقي تحت الطبع وقيد المراجعة والتأليف، سائلين المولى تبارك وتعالى أن يتقبّل هذا القليل بوافر لطفه وعنايته.

ختاماً نتقدّم بجزيل الشكر والتقدير إلى كلّ من ساهم في إخراج هذا الكتاب، ونخصّ بالذكر سماحة الشيخ صادق الحسونّ الذي قام بمراجعته واستخراج مصادره، والحمد لله ربّ العالمين.

محمّد الحسوّن

مركز الأبحاث العقائدية

١٨ صفر ١٤٣١هـ

الصفحة على الإنترنت: www.aqaed.com /Muhammad

البريد الإلكتروني : muhammad@aqaed.com

إهداء

إلى الرّسول الكريم، ووصيّه بالحقّ

وإلى الزهراء البتول

وابنيها المعلّيين

والتسعة من أسباطه

أُهدي هذا الكتاب...

جمال

ديباجة الكتاب

مرحى عيد الغدير

أو عيد يوم الغدير

عيد يشتمل على كلّ الأعياد

لأنّ فرحته كانت سبقت كلّ الأعياد

وجماله يزرع فوق رمضاء الحرّ والنيران

فأزرعها حسنه الحنون وبثّها بريقه غير الخؤون

فانقلبت مهاداً عامرة وهضاباً تسبح فيها أنسام البلى

سيّما حين أكمل بها الدين فاتمّ بها النعمة وجعلها قمراً

يبلي كلّ الأديان ونبعاً يواطن كلّ الأوكار كالشمس حينما لا

ترضى إلّا بسنابل سبعة من حبّات الشمع تنوّرها وطناً منوراً

للقوى والحواضر من المدن والأمصار في زمن ما غاب قائده

إلا قرّة لأعين المحرومين من بني الإنسان ورائده

بعثاً لجدود الحقّ من أشياع الأمل المنشور

والمبعوث في ربيع جيل من النسور

كي ينير الدرب لصحب يسوع

وموسى مثل الشموع

ولنا من قبل!

ومن بعد

مجداً

يانعاً

الصفحة 12

الصفحة 13

الفصل الأوّل

واقعة الغدير

كما اشتقّت من مصادرها التاريخية وبالنصّ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [1].

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [2].

أجمع رسول الله صلّى الله عليه وآله الخروج إلى الحجّ في سنة عشر من مهجره ، وأذنّ في الناس بذلك ، فقدم المدينة خلق كثير يأتمّون به في حجّته تلك التي يقال لها حجة الوداع، وحجة الإسلام،

1- المائدة (٥): ٦٧.
2- المائدة (٥): ٣.

وحجّة البلاغ، وحجّة الكمال، وحجة التمام [1] ، ولم يحجّ غيرها منذ هاجر إلى أن توفاه الله، فخرج صلّى الله عليه وآله من المدينة مغتسلاً متدهّناً متوجلاً متجرداً في ثوبين صحاريين إزار ورداء، وذلك يوم السبت لخمس ليال أو ست بقين من ذي القعدة ، وأخرج معه نساءه كلّهن في الهوادج، وسار معه أهل بيته، وعامّة المهاجرين والأنصار، ومن شاء الله من قبائل العرب وأفناء الناس [2] .

وعند خروجه صلّى الله عليه وآله أصاب الناس بالمدينة جُوَي (بضم الجيم وفتح الدال وبفتحهما) أو حصبة منعت كثيراً من الناس من الحجّ معه صلّى الله عليه وآله، ومع ذلك كان معه جموع لا يعلمها إلاّ الله تعالى ، وقد يقال: خرج معه تسعون ألفاً، ويقال : مائة ألف وأربعة عشر ألفاً، وقيل: مائة ألف وعشرون ألفاً، وقيل: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، ويقال أكثر من ذلك ، وهذه عدّة من خرج معه ، وأمّا الذين حجوا معه فأكثر من ذلك كالمقيمين بمكة والذين أتوا من اليمن مع علي أمير المؤمنين وأبي موسى [3] .

1 - يمكن أن يكون الوجه في تسمية حجّة الوداع بالبلاغ هو نزول قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ)، الآية كما إن الوجه في تسميتها بالتمام والكمال هو نزول قوله سبحانه: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي).
2 - الطبقات لابن سعد ٢: ١٧٣ ، دار صادر، بيروت، تاريخ اليعقوبي ٢: ١٠٩ ، دار صادر، بيروت، إمتاع المقريزي ٢: ١٠٢ ، دار الكتب العلمية، بيروت.
3- السيرة الحلبية ٣: ١٣، دار المعرفة ، بيروت.

أصبح صلّى الله عليه وآله يوم الأحد بيلملم، ثم راح فتعشّى بشوف السيالة، وصلّى هناك المغرب والعشاء، ثم صلّى الصبح بعرق الظبية، ثم نزل الروحاء، ثم سار من الروحاء فصلّى العصر بالمنصرف، وصلّى المغرب والعشاء بالمتعشّى وتعشّى به ، وصلّى الصبح بالأثابة ، وأصبح يوم الثلاثاء بالعرج، واحتجم بلحى جمل وهو «عقبة الجحفة» ونزل السقياء يوم الأربعاء، وأصبح بالأبواء، وصلّى هناك ثم راح من الأبواء ونزل يوم الجمعة الجحفة، ومنها إلى قديد وسبت فيه ، وكان يوم الأحد بعسفان، ثم سار فلمّا كان بالغميم اعترض المشاة فصفّوا صفوفاً فشكوا إليه المشي، فقال: استعينوا بالنسلان «مشي سريع دون العدو» ففعلوا فوجدوا لذلك راحة، وكان يوم الاثنين بمر الظهران فلم يبرح حتّى أمسى وغربت له الشمس بسرف فلم يصلّ المغرب حتّى دخل مكة، ولما انتهى إلى الثنيتين بات بينهما فدخل مكة نهار الثلاثاء [1] .

فلمّا قضى مناسكه وانصرف راجعاً إلى المدينة ومعه من كان من الجموع المذكورات ووصل إلى غدير خم من الجحفة التي تتشعّب فيها طرق المدنيين والمصريين والعراقيين ، وذلك يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة نزل إليه جبرئيل الأمين عن الله بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ [2] .

1- الإمتاع للمقريزي ٢: ١٠٨.
2- المائدة (٥): ٦٧.

وأمره أن يقيم عليّاً علماً للناس ويبلغهم ما نزل فيه من الولاية وفرض الطاعة على كل أحد، وكان أوائل القوم قريباً من الجحفة فأمر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أن يردّ من تقدّم منهم ، ويحبس من تأخرّ عنهم في ذلك المكان ، ونهى عن سمرات خمس متقاربات دوحات عظام أن لا ينزل تحتهن أحد حتّى إذا أخذ القوم منازلهم فقمّ ما تحتهن حتىّ إذا نودي بالصلاة صلاة الظهر عمد إليهن فصلّى بالنّاس تحتهن، وكان يوماً هاجراً يضع الرجل بعض رداءه على رأسه وبعضه تحت قدميه من شدة الرمضاء، وظلل لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بثوب على شجرة سمرة من الشمس، فلمّا انصرف صلّى الله عليه وآله من صلاته قام خطيباً وسط القوم[1] على أقتاب الإبل وأسمع الجميع،رافعاً عقيرته فقال:

الحمد لله ونستعينه ونؤمن به، ونتوكّل عليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئّات أعمالنا الذي لا هادي لمن ضلّ، ولا مُضلّ لمن هدى،وأشهد أن لا إله إلاّ الله،وأن مّحمداً عبدُه ورسوله – أما بعد – أيها النّاس قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمّر نبيّ إلاّ مثل نصف عمر الذي قبله،وانيّ أوشك أن أدعى فأجيب،وانيّ مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟

قالوا: نشهد أنّك قد بلّغت ونصحت وجهدت فجزاك الله خيراً.

قال: ألستم تشهدون أن لا إله إلّا الله،وأنّ محمدّا عبده ورسوله،

وأنّ جنتّه حقّ،ونارّه حقّ،وأن الموت حق،وأن السّاعة آتية لاريب فيها،

1- انظر مجمع الزوائد ٩: ١٦٤، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت.

وأنّ الله يبعث من في القبور؟

قالوا: بلى نشهد بذلك، قال: اللهم اشهد.

ثم قال : أيّها الناس ألا تسمعون؟

قالوا: نعم.

قال: فإنّي فرط على الحوض،وأنتم واردون عليّ الحوض،وانّ عرضه ما بين صنعاء وبصرى[1] ، فيه أقداح عدد النجوم من فضّة فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين[2] .

فنادى مناد: وما الثقلان يارسول الله؟

قال: الثقل الأكبر كتاب الله طرف بيد الله عزّ وجلّ وطرف بأيديكم فتمسكّوا به لا تضلوا ّ ،والآخر الأصغر عترتي،وانّ اللطيف الخبير نبّأني أنهّما لن يتفرقا حتىّ يردا علي الحوض فسألت ذلك لهما ربي،ّ فلا تقدموهمّا فتهلكوا،ولا تقصروا عنهما فتهلكوا.

ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فرفعها حتّى رؤي بياض آباطهما وعرفه القوم أجمعون.

فقال: أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟

قالوا: الله ورسوله أعلم.

1- صنعاء: عاصمة اليمن اليوم. وبصرى: قصبة كورة حوران من أعمال دمشق.
2- الثقل، بفتح المثلثة والمثناة: كل شيء خطير نفيس.

قال: إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعلي مولاه ، يقولها ثلاث مرّات.

وفي لفظ أحمد إمام الحنابلة: أربع مرّات.

ثمّ قال: اللّهم والِ من والاه ، وعاد مِن عاداه ، وأحب مّن أحبه، وّابغض من أبغضه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله، وأدر الحقّ معه حيث دار ، ألا فليبلغ الشاهد الغايب.

ثمّ لم يتفرّقوا حتىّ نزل أمين وحي الله بقوله: ﴿ اليوْمَ أكمَلتَ ْلكمْ دُينكَمُ وأتممِتَ ُعليكمَ نْعمَتي ُ﴾ الآيْةُ. ْ ِ ْ َ

فقال رسول الله صلّ الله عليه وآله:

الله أكبر على إكمال الدين ، وإتمام النعمة، ورضى الرّبّ برسالتي ، والولاية لعلي بن أبي طالب من بعدي .

ثم طفق القوم يهنّئون أمير المؤمنين صلوات الله عليه وممنّ هنأّه في مقدمّ الصحابة الشيخان أبو بكر وعمر كل يقّول:

بخٍ بخٍ يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كل ّمؤمن ومؤمنة.

وقال ابن عباس: وجبت والله في أعناق القوم.

فقال حسّان: ائذن لي يا رسول الله أن أقول في علي بن أبي طالب أبياتاً تسمعهن.ّ

فقال: قل على بركة الله.

فقام حسّان فقال: يا معشر مشيخة قريش أتبّعها قولي بشهادة من رسول الله في الولاية ماضية ثم قال:

يناديهم يوم الغدير نبيّهم

بخمٍ فاسمع بالرّسول ِمناديا

إلى آخر قصيدته.

وإن كان هناك من نلوأ الرسول من قبل وينلوئ في اليوم شيعة أبنائه ويحشد لمعاداة أسباب هذا الكرم الإلهي فإنّ الله عزّ وجلّ كان قد واسى رسوله ودعمه وزاده من قوته وأبان له الأشياء بأوضح صورها في سورة المائدة الآية (٤١): ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا**

وَمَن يرُدِ اللهِ فِتنَتُه فَلَن تَملكَ لَه مَنَ اللهِ شَيئا أولَئكَ الذينَ لَمَ يرُدُ اللهِ أن يَّطهرَ قلوبهمُ لهم فيُ الدنيا خُوَيٌ ولهمُ فيَ الآخرَةُ عذابٌ عظيم ﴿ .

الصفحة 20

الصفحة 21

الفصل الثاني

(١) تواتر حديث الغدير

عند أهل السنّة وبشكله المفصل

هناك تصريحات كثرة لعلماء السنّة بالنسبة إلى حديث الغدير تؤيدّ تواتر حديث الغدير، كما تؤيدّ سنده وصحتهّ ودلالته الواضحة على إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وخلافته المباشرة لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

ويقول أبو الخير شمس الدين محمّد بن محمدّ بن محمدّ الجزري الشافعي في حديث الغدير: «تواتر عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، وهو – أي حديث الغدير – متواتر أيضاً عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم، رواه الجمّ الغفير، ولا عبرة بمن حاول تضعيفه ممّن لا اطلّاع له في هذا العلم ، فقد ورد مرفوعا ً عن أبي بكر الصديقّ، وعمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقّاص، وعبد الرحمن بن عوف، والعبّاس بن عبد المطلّب، وزيد بن أرقم، وبراء بن عازب ، وبريدة بن الحصيب، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عباس، وحبشي بن جنادة، وسمرة بن جندب، وأنس بن مالك، وزيد بن ثابت»[1] .

1- أسنى المطالب: ٤٧، طبعة: طهران ـ إيران.

الصفحة 22

ويقول حجّة الإسلام الغزّالي: «أجمع الجماهير على متن الحديث من خطبته في يوم غدير خم ّباتفاق الجميع وهو يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه...، » فقال عمر: بخٍ بخٍ يا أبا الحسن لقد أصبحت مولاي ومولى كل ّمولى، فهذا تسليم ورضى وتحكيم ، ثم بعد هذا غلب الهوى لحبّ الرياسة...»[1] .

ولقد صرّح بتواتر حديث الغدير جماعة آخرين من علماء السنّة منهم: القسطلاني[2] ، والمنصور بالله[3] .

1- سر العالمين وكشف ما في الدارين : ١٠، لأبي حامد الغزالي، مكتب الجندي ـ بيروت .
2- راجع كتابه : شرح المواهب اللدنيّة ٧: ١٣، طبعة المطبعة الأزهرية ـ القاهرة.
3 - هو الحسين بن المنصور بالله، القاسم بن محمّد ، المتوفى سنة : ١٠٥٠ هـ ، وقد صرّح بذلك في كتابه: هداية العقول إلى غاية السؤول في علم الأصول ٢: ٤٥، طبعة صنعاء ـ اليمن .

الصفحة 23

(٢) مصادر علماء السنّة

التي أبدت تأييدها المصدّق على تواتر حديث الغدير

(١) أبو الفتح محمّد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني ، المتوفّي سنة٥٤٨ هـ، في كتابه: الملل والنحل ١: ١٦٣.

(٢) أبو الفداء، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، المتوفّى سنة٧٧٤ هـ ، في تفسير القرآن العظيم ٢: ١٥ ، طبعة: دار المعرفة . بيروت.

(٣) أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر، المتوفّى سنة٥٧١ هـ، في كتابه المعروف بتاريخ ابن عساكر، ترجمة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ٢: ٥ ، طبعة دار الفكر ومؤسسة المحمودي . بيروت.

(٤) أبو الحسن علي بن محمّد الواسطي الجلاتي الشافعي، المعروف بابن المغازلي، المتوفّى سنة٤٨٣ هـ، في كتابه مناقب علي بن أبي طالب: ٣١ ، طبعة دار مكتبة الحياة . بيروت.

(٥) أبو الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي الشافعي، المتوفّى سنة١٢٧ هـ ، في كتابه روح المعاني ٤: ٢٨٢، طبعة دار الفكر . بيروت.

(٦) محبّ الدين أحمد بن عبد الله الطبري في كتابه ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: ٦٧ ، طبعة مكتبة القدسي . القاهرة مصر، وطبعة . بيروت.

(٧) الحافظ شمس الدين الذهبي الشافعي في كتابه التلخيص بذيل المستدرك ٣: ١٠٩ ، طبعة دار الفكر . بيروت.

(٨) أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي في كتابه تاريخ اليعقوبي ١: ٤٢٢ ، طبعة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت . لبنان.

(٩) القسطلاني، شرح المواهب اللدنّية ٧: ١٣ ، طبعة المطبعة الأزهرية القاهرة . مصر.

(١٠) علي بن محمّد بن أحمد المالكي، المعروف بابن الصبّاغ، المتوفّى سنة: ٨٥٥هـ، في كتابه الفصول المهمة: ٤٠، طبعة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيرو ت . لبنان .

(١١) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب المعروف بالنسائي، فضائل الصحابة: ١٥ ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت . لبنان.

(١٢) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفّى سنة ٩١١ هـ، تاريخ الخلفاء: ١٦٩ ، طبعة مصر.

(١٣) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفّى سنة ٩١١ هـ ، الحاوي للفتاوي ١: ١٠٦ ، طبعة دار الكتاب العربي . بيروت.

(١٤) أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، من أعلام القرن الثالث الهجري، في كتابه أنساب الأشراف ٢: ١١١، طبعة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت . لبنان.

(١٥) أبو الفداء ، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، المتوفّى سنة٧٧٤ هـ، ابن كثير، البداية والنهاية ٥: ٢٠٩، طبعة مكتبة

المعارف للمطبوعات بيروت . لبنان .

(١٦) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمّد بن عبد البر، في كتابه الاستيعاب ٣: ١٠٩٨ ، طبعة دار الجيل بيروت . لبنان.

(١٧) عبد الرؤوف المناوي، في كتابه الكواكب الدريّة في تراجم السادة الصوفيّة ١: ٦٩ ، طبعة المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة . مصر.

(١٨) المحاملي، الأمالي: ٨٥ ، طبعة المكتبة الإسلامية . الأردن.

(١٩) أحمد بن إبراهيم القيسي، في كتابه شرح هاشميات الكميت بن زيد الأسدي: ١٩٧ ، طبعة مكتبة النهضة بيروت . لبنان.

(٢٠) محمّد الصبّان الشافعي، المتوفىّ سنة١٢٠٦ هـ في كتابه إسعاف الراغبين: ١١١ ، مخطوط، المكتبة الشعبية . بيروت.

(٢١) محمّد رشيد رضا ، في كتابه تفسير المنار ٦: ٤٦٤ ، طبعة دار المعرفة بيروت . لبنان .

(٢٢) أحمد بن حنبل، المتوفّى سنة٢٤١ هـ، في كتابه العلل ومعرفة الرجال٣: ٢٦٢ ، طبعة المكتبة الإسلامية . الرياض.

(٢٣) أبو منصور عبد الملك بن محمّد إسماعيل الثعالبي النيسابوري، المتوفّى سنة: ٤٢٩ هـ ، في كتابه ثمار القلوب من المضاف والمنسوب٢: ٩٠٦ ، طبعة دار البشائر بيروت . لبنان .

(٢٤) جلال الدين بن أبي بكر السيوطي، المتوفّى سنة٩١١ هـ ، في كتابه الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير ٢: ٦٦، طبعة دار الكتب العلمية بيروت . لبنان.

(٢٥) نور الدين علي بن عبد الله السمهودي، المتوفّى سنة ٩١١هـ ، في

كتابه جواهر العقدين في فضل الشرفين، فضل العلم الجلي والنسب النبوي: ٢٣٦ ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت . لبنان.

(٢٦) عبد الرؤوف المناوي ، في كتابه كنوز الحقائق ٢: ١١٨ ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت . لبنان .

(٢٧) أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المتوفّى سنة٧٤٨ هـ ، في كتابه ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٣: ٢٩٤ ، طبعة دار إحياء الكتاب العربي بيروت . لبنان .

(٢٨) جلال الدين بن أبي بكر السيوطي، المتوفّى سنة٩١١ هـ ، في كتابه الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٢: ٢٩٣، طبعة محمّد أمين بيروت . لبنان .

(٢٩) نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، المتوفّى سنة٨٠٧ هـ ، في كتابه مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٩: ١٢٩، طبعة دار الفكر بيروت . لبنان.

(٣٠) الموفّق بن أحمد بن محمّد المكيّ الخوارزمي، المتوفىّ سنة: ٥٦٨ هـ ، في كتابه مناقب علي بن أبي طالب:١٥٦،

طبعة جماعة المدرسين قم . إيران.

(٣١)ركن الدين أبو محمّد الحسين بن مسعود أبي الفراء البغوي، المتوفّى سنة٥١٦هـ ، في كتابه مصابيح السنّة ٤: ١٧٢، طبعة دار المعرفة بيروت . لبنان .

(٣٢) أبو عبد الله محمّد الحكيم الترمذي، من علماء القرن الثالث الهجري، في كتابه نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول صلى الله عليه و آله و سلم: ٢٨٩ ، طبعة دار صادر بيروت . لبنان.

(٣٣) كمال الدين محمّد بن طلحة الشافعي، المتوفّى سنة٦٥٤ هـ ، في كتابه مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: ٤، مخطوط .

(٣٤) أبو سعيد الهيثم بن طلحة الشافعي، المتوفّى سنة٣٣٥ هـ ، في كتابه المسند ١: ١٦٦ ، طبعة مكتبة العلوم والحكم . المدينة المنورة .

(٣٥) سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي، المتوفّى سنة١٢٩٤هـ ، في كتابه ينابيع المودّة ١: ٣٣ ، طبعة المطبعة الحيدرية . النجف الأشرف . العراق.

(٣٦) عبد الرؤوف المناوي، في كتابه فيض القدير شرح الجامع الصغير ٤: ٣٥٨ ، طبعة دار المعرفة . بيروت.

(٣٧) أبو المؤيّد الموفّق بن أحمد المكيّ ، أخطب الخوارزمي، المتوفىّ سنة٥٦٨ هـ ، في كتابه مقتل الحسين ١: ٤٧ طبعة إيران .

(٣٨) المتّقي الهندي، في كتابه منتخب كنز العمال ٥: ٣٠ ، طبعة المكتب الإسلامي . بيروت.

(٣٩) أبو عبد الرحمن ، أحمد بن شعيب النسائي، المتوفّى سنة٣٠٣ هـ ، في كتابه، خصائص أمير المؤمنين علي عليه السلام : ٤٣ ، طبعة إيران.

(٤٠) عفيف الدين ، عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني، المتوفّى سنة٧٦٨ هـ ، في كتابه مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان: ١٤٣ ، طبعة مؤسسة الرسالة . بيروت.

(٤١) عبد الله بن عمر البيضاوي، في كتابه طوالع الأنوار ١: ٥٨٥ ، طبعة الديار العامرة . مصر.

(٤٢) أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، المتوفّى سنة٤٥٨هـ ، في كتابه

الاعتقاد على مذهب السلف، أهل السنّة والجماعة: ٢١٧ طبعة دار الكتب العلمية . بيروت.

(٤٣) الحافظ الطواني، المتوفّى سنة٣٦٠هـ ، في كتابه المعجم الأوسط ٣: ٦٩ ، طبعة مكتبة المعارف . الرياض.

(٤٤) أبو عبد الرحمن ، أحمد بن شعيب النسائي، المتوفّى سنة٣٠٣ هـ ، في كتابه السنن الكبرى ٥: ١٣٠ ، طبعة دار المكتبة العلمية . بيروت .

(٤٥) عبد الرحمن بن خلدون، المتوفّى سنة٨٠٨ هـ ، في كتابه المقدّمة: ٢٤٦ ، طبعة دار الفكر . بيروت .

(٤٦) جمال الدين محمّد بن يوسف بن الحسن بن محمّد الزرندي الحنفي المدني، المتوفّى سنة٧٥٠ هـ ، في كتابه نظم درر السمطين: ٩٣ ، طبعة القضاء . النجف الأشرف . العراق.

(٤٧) محمّد بن عبد الله الخطيب التبريزي، في كتابه مشكاة المصابيح ٣: ١٧٢٠ ، طبعة المكتب الإسلامي . بيروت.

(٤٨) سيف الدين الآمدي، المتوفّى سنة٦٣١ هـ ، في كتابه غاية المرام في علم الكلام ٣٧٥ ، طبعة القاهرة . مصر.

(٤٩) أبو جعفر أحمد الشهير بالمحبّ الطبري ، في كتابه الرياض النضرة في مناقب العشرة ٣: ١٢٧ ، طبعة دار الكتب العلمية . بيروت.

(٥٠) بدر الدين، أبو محمّد بن أحمد العيني ، المتوفّى سنة٨٥٥ هـ ، في كتابه عمدة القاري، شرح صحيح أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاري، المتوفّى سنة٢٥٦هـ ، ١٨: ٢٠٦ ، طبعة دار الفكر . بيروت.

(٥١) محمّد بن معتمد خان البدخشاني الحنفي، المتوفّى١١٢٦ هـ ، في كتابه نزل الأبرار بما صحّ من مناقب أهل البيت الأطهار: ٥٤ ، طبعة مؤسسة المفيد . بيروت.

(٥٢) الشبلنجي، في كتابه نور الأبصار في مناقب بيت النبي المختار: ٧٨، طبعة المكتبة الشعبية.

(٣) بعض من صرّح من

المؤرّخين والمفسّرين من علماء السنّة

بنزول آية الإكمال والإتمام في الإمام علي عليه السلام في يوم الغدير

أبو المؤيّد الموفّق بن أحمد بن محمّد المكيّ الخوارزمي، المتوفّى سنة٥٦٨ هـ ، روى بإسناده، عن أبي سعيد الخدري قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لمّا دعا الناس إلى علي عليه السلام في غدير خمّ، فدعا عليا فأخذ بضبعيه فرفعهما حتّى نظر الناس إلى بياض إبطي رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ثم لم يتفرّقوا حتّى نزلت هذه الآية: ﴿ ...الْيَوْمَ أَكمَلْتَ لَكُمْ دِينكمَ وَأَتممتَ عَليكمْ نعمَتِيْ وَرَضِيتَ لَكِم الإِسَلاَمِ دِيُنا ...﴾[1] . فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: « الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الربّ برسالتي والولاية لعلي من بعدي » مناقب علي ابن أبي طالب: ١٣٥، طبعة قم . إيران.

أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر، المتوفّى سنة٥٧١ هـ ، روى بإسناده عن أبي هريرة قال: من صام ثمانية عشر من ذي الحجّة كتب له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدير خم لما أخذ النبي صلى الله عليه و آله و سلم بيد علي فقال: « ألست ولي المؤمنين »؟

1- المائدة (٥): ٣.

فقالوا: بلى يا رسول الله، قال: « من كنت مولاه فعلي مولاه »، فقال عمر بن الخطاب: بخٍ بخٍ لك يابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلّ مسلم، فأنزل الله: ﴿ ...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ... ﴾؛ تخريج ابن عساكر: ترجمة الإمام علي عليه السلام: ٢: ٧٨ ، طبعة دار الفكر . بيروت.

أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، المتوفّى سنة٧٧٤ هـ ، قال في تفسيره إنّ الآية: ﴿ ...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لكمُ الإِسلاَمَ دِيناً ... ﴾ نزلت على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في مسيره إلى حجّة الوداع، تفسير القرآن العظيم ٢: ١٥ ، طبعة دار المعرفة . بيروت .

جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفّى سنة٩١١ هـ ، روى في تفسيره عن أبي سعيد الخدري قال: لمّا نصب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم علياً يوم غدير خم، فنادى له بالولاية، هبط جبريل عليه بهذه الآية: ﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، الدر المنثور ٣: ١٩.

وروى أيضاً عن أبي سعيد الخدري في كتابه الإتقان: إنّ الآية: ﴿ ..الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسلاَمَ دِيناً...﴾ نزلت يوم غدير خمّ، الإتقان في علوم القرآن ١: ٥٤ طبعة دار إحياء العلوم . بيروت. إلى غير ذلك ممّن صرّح بذلك ولا مجال هنا لذكرهم.

أبو الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي، المتوفّى سنة١٢٧ هـ ، عن أبي سعيد الخدري قال: إنّ هذه الآية﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ

لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ...﴾ نزلت بعد أن قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لعلي – كرّم الله وجهه– في غدير خم: « من كنت مولاه فعلي مولاه » فلما نزلت ، قال: «الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضاء الربّ برسالتي وولاية علي – كرّم الله وجهه– بعدي»، روح المعاني ٤: ٩١ ، طبعة دار الفكر بيروت.

الفصل الثالث

في ظلّ تداعيات الغدير

لماذا كان الغدير؟

ولماذا كان يوم الغدير؟

ولماذا كانت ذكرى يوم الغدير؟

لماذا كان الغدير؟

ولماذا أصبحت ذكراه مولداً؟

تشعّ فيه القلوب من ضيائه

وهي التي لا ترى نفسها إلّا مظلمة من دونه إذ إنّها كالقمر

يحنّ أبداً إلى الشمس التي تمنحه نورها

فيشع ضيؤه

حتّى أنّ من يراه يقول: إنهّ هو الذي يضيء

وما كان هو ليفعل

إنّما كان يستمدّ نوره من نور الشمس

كما هي الإنسانية

ليس لها أن تستمدّ نورها إلاّ بفضل محمدّ صلى الله عليه و آله و سلم وأهل بيته

الأطهار عليهم السلام .

سواء شعرت بذلك أو لم تشعر.

سواء اعتقدت بضرورة الإيمان بمحمّد صلى الله عليه و آله و سلم ووصيّه علي بن أبي طالب عليه السلام أم لا

لأنّ رحمة الله بالغة العالمين جميعاً!

ولقد كان ولمّا يزل أحرى برسوله ووصيّ رسوله وأئمته من بضعته الزهراء أن يتقمصّوا روح الله في وجوداتهم التأريخية والمعاصرة حتّى لو امتدّت ذكراهم قروناً سحيقة لكن أفكارهم وذكراهم وكينوناتهم ما زال تعيش بيننا ونحسّ بها ولا نأفل إلا حينما تغادرنا أيّامها ونتناسى – لا سمح الله – شعاعاتهم المتوفّرة على كل أسباب وجودنا لأنه لولاهم ما كان خلق الله شيئا مّن الكائنات ولا واحداً من الموجودات.

وإذن فعنايتهم البشرية قاطبة ما كانت إلّا منحة إلهيّة من لدن الله العزيز القدير حينما جعل رسوله وأهل بيته عليهم السلام هم أنبل الناس وأوفاهم لكلّ خلقه.

تمثّلوا خلقه فلا يأخذ عباده بفنون عذابه

لأنّهم لا يستجيبون له بمثل هذه السرعة التي يتوقّعها منهم أو أنهّم لا يثوبون إلى رشدهم فيفهمون سر الخليقة وسر وجود آل محمّد عليهم السلام

وسرّ حاجتهم إليهم وأنهّم الخلق الضرورة حقاً

وأنّه لولاهم لما كان أحد من البشر يحيا

وأنّه لولاهم لما كان للبشرية أن تواصل مسيرتها

ولكن ما كان كلّ هذا

إلّا إحباطاً وغبناً وتنكراً للجميل الذي يصدر من أولي أمة بكاملها

يمكنها أن تكون أمّة للعالمينا

وعليه

كلّ هذا له أن ينعكس على يوم الغدير

لأنّه سمة حقيقية لكلّ منجزات الدين والدنيا

وذلك أنّ كليهما ما كانا اجتمعا إلاّ فيه

فهو عمر مديد

لكلّ الأنواء الدنيوية

وصفة حميمية لكلّ الأفاق الدينية

ولكن

لماذا كان علي؟

ولماذا كان الرسول؟

ولماذا كان عليرائد البيعة في يوم الغدير؟

ولماذا كان الجمهور شاهداً على مثلها؟

ولماذا كانت الصلاة ظهراً وفي مثل كلّ ذلك الحرّ الهجير؟

ولماذا كانت الأيام حبلى أبداً بمثل هذه المناسبة وسعاداتها؟

ولماذا يحاول البعض أن يئد مثل هذه الذكرى لمثل هذا اليوم؟

كما لو أنّه يحاول وأد موجود حيّ ينطق ويتنفسّ ويعيش ويمتلك كل حّقه فّي مواصلة الحياةوالتمتع بّكل أرّكانها وجمالياتها

يحاول أن يئد ذكره

وما يشعر أنّه يئد ذكرى نفسه

وبنفسه

يئد نفسه من دون أن يشعر

ويحكم على نفسه بالموت

لأنّ الغدير وبكافة أبطالها وشخوصها

ما كان وما يكانوا إلّا أسباب وجوده

فإذا حاول نسف ذكراهم والعياذ بالله فإنّه ما ينسف إلاّ ذكراه ووجوده الشخصيينّ والعامينّ

وسينسف معها كلّ وجودات الآخرين من حوله

أنظر إلى عظم المصيبة التي لا يشعر بها أحد

﴿وَإِذَا المَوْوْدَةُ سَئِلَت * بِأَيْ ذنبٍ قُتِلَت﴾[1].

فهل يسلع الكثير وبعصبية جاهلية وبمعيّة عصبة مشركة بالله أن

تئد

1- التكوير (٨١): ٨ -٩.

مثل هذا اليوم وتقتل ذكراه في نفوس الناس جميعاً؟

والله الذي جعل ذكراه في يوم اجتمع فيه الشرق والغرب

وكلّ الشمال والجنوب من مسلمي العرب وغير العرب في ذلك اليوم.

أهكذا يجزى الرسول وأهل بيته لقاء حمايتهم لمن أحبّهم ولمن لم يودّهم أيضاً؟!

أهكذا يفترض أن يجزى آل البيت وهم الذين يحافظون على أرواح البشر جمعاء

من دون فرق بين عربي أو أعجمي؟!

بل إنّهم لا ينظرون إلى من نلوأهم نظر المنتقم المتشوّق إلى ألوان الدم.

بل إنّهم ينظرون إليه نظر الماسي عليه المكلّل بألواح الحزن

ألواح يحملونها فوق ظهورهم

كما لو كان عيسى عليه السلام يحمل صليبه غير المنظور فوق كتفيه

وحتفه الذي اشتاقت لتوقيعه فوق مفواله يهود عصوه من مناوئيه

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُم﴾[1].

كذلك فإنّ مناوئي آل محمدّ ما هم ببالغي أهدافهم في الانتقام من آل محمدّ

1- النساء (٤): ١٥٧.

إلّا كما بلغه يهود عصر عيسى عليه السلام من قبل

حينما شبّهت لهم أو هامهم بأنّهم يستطيعون النيل من نبي ّالله عيسى عليه السلام

كذلك يعيش من ينلوئ آل محمّد في اليوم

كما عاش اليهود من قبل

والله لتحذونّ حذو بني إسوائيل حذو القذُةّ بالقذُةّ وّالنعل بالنعل

والله لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه

لذا

فلقدرأينا وسوى

من أُمّة محمدّ كل ّالعجب العجاب!

مثلمارأينا في الأمس

أُمّة محمدّ تقتل ابن بنت نبيها في أيامّ الحوام ، وفوق صعيد الطف ّ

لكنّ التاريخ ما عاد يكرّر نفسه

وسوف يكرّر أشياءه بمعزل عن احتقان ثوراته

إنّه سوف ينتقم من تلك الألوان القبيحة

ولا يتركها تستأصل جذور الله في أرضه

لأنّ أنوار الإله في أرضه من مصابيح آل محمدّ

ما كانوا إلّا أصول البشر في أرضه كالجبال لها

لأنّ منابتهم كشجرة ليس لأحدٍ أن يجتثهّا من فوق الأرض لأنها

ثابتة

وفوعها في السماء

هكذا أرادها الله مبلركة بينما ما كتب على نفسه إلّا أن يجتثّ شجرة النفاق

من فوق أرضه

لتبقى علامة على وأد الفتنة كالدمار الذي لحق بمسجد ضوار

لأنّ الفتنة لا تكون إلاّ من حيث لا يعيها الناس

ولا يؤمن بها إلّا الجاهلون بعد أن تتشبّه عليهم ، كما شبهّ لليهود قتل عيسى

فكما اعتنق اليهود وقتها الإيمان بقتل نبيّهم

يعتنق اليوم بعض الناس الإيمان بضرورة قتل نبيّهم

من حيث يقتلون شيعة آل محمّد

ويحاولون إماتة ذكرى أئمّتهم وأيامهم في نفوسهم ويمنعون علوم أئمّتهم، وصحيح شرعتهم من الوصول إلى أذهان الناس

ولو سألتهم أتقتلون الناس لأنّهم شايعوا أولاد نبيّهم؟

قالوا: لا.

كما لو سألتهم من خلق السملوات والأرض؟

ليقولنّ: الله.

كذلك لو سألتهم أتقتلون نبيّكم؟

ليقولنّ وقتها: لا.

فكيف تقتلون أولاد نبيّكم؟!

ثمّ تحاولون ملاحقة أشياعهم.

كما لو أنّكم تحيون شرعة فرعون والطواغيت من قبلكم

بأقوامهم التي لاحقت أنبياء الله، وقتلت النبيين بغير حق كبني إسرائيل

أولئك الذين ضربوا الرقم القياسي في قتل الأنبياء،

بل حطّموه

أكنتم خلفاً لأسلافهم؟

وحينها سيكون لهم أن يقولوا:

لا.

لم نقتل النبيّين، ولو كان أمثال هؤلاء من الذين تدّعون،

هم أشياع أولاد النبيّ

فأين كان النبيّ قد وعد برعايتهم؟

وهم الذين يشركون بالله من حيث لا يشعرون

فيعبدون أولاد نبيهم من حيث لم يخبرونا بذلك ولم يأمروهم بمثله

كعيسى بن مريم

أأنت قلت للناس أعبدوني أنا وأمي من دون الله؟

قال: معاذ الله أن أقول ما ليس لي به علم!

(1)

ومالم تأمرني به !

إذن هم يمارسون التعلّل بالحقّ من أجل إثبات غير الحق كلمة حق يُراد بها باطل

لم يكن ليفعلوه إلّا بعد أن نبذوا ما آتاهم الله به من قبل وراء ظهورهم

فانقلبوا يئوون بسفسطاتهم غير المحدودة

وينبذون كلّ الحقّ وراء الظهور

يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعضه!

يؤمنون برسالة محمّد ويكفرون بضيائها المتواصل!

يؤمنون بالقرآن الصامت.

وينبذون إيمانهم بناطقه وراء كلّ أيامهم الصمّاء البكماء!

لأنّ آل محمّد لم يقولوا لأحد أن اعبدونا من دون الله كما قال عيسى ابن مريم للناس

: أن لا تتخذوني إلهاً من دون الله

لذا

ما كان لشيعة آل محمّد أن تعبد آل محمّد

1- اشارة لقوله تعالى: }وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ { المائدة (٥): ١١٦.

ولا كان لها أن تتّبعهم أن أمروا بمثله

لأنّهم موحّدين لا يعبدون إلاّ الله،ولا يشركون به أحداً

لكن

لمّا كان هو وبنفسه وفي قرآنه المجيد قد أمرهم

بكلّ مودّة

أن يودّون من اصطفاهم على العالمينا

وأن يسمعوا لهم

ويطيعوا

ويعظّموا شعائرهم

ويزوروا مراقدهم أركان الأرض وأفياء السماء في بسيطته الفيحاء

ويبنوا لهم في كلّ ربع آية للرحمن وليس آية للشيطان كي تستحق نبذه وذمّه ومن ثم تقمته

لذا

فقبورهم ما كانت إلّا بيوت كان أمر الله بها أن يذكر فيها اسمه،

يقوم فيها رجال يسبّحون باسمه وحده

ويتوسّلون إليه باسمه

لأنّ أئمة الحقّ من آل محمدّ ما كانوا إلا أنوار اسمه

تلك الأنوار التي لم تذنب شيئاً

ولم تقترف معصية

ولم تجرم ولم تجترئ على حرمات بارئها

أليس الدعاء سيكون له حقّه في الإجابة؟

سيّما وأنّه يتمّ في ظل تلّك القباب التي أخفى الله أولياءه تحتها،

وتحت تلك المنابر الذهبية الحفيّة بكلّ فنون رحمة الرحمن وشيعة آل محمدّ ما كانوا يبتغون هناك إلا الوسيلة

بعد أن كانوا يثبتون للحقّ تعالى

أنّهم عند حسن ظنّه

في تلبية وصية رسوله

﴿ قُل لاَّ أَسأَلكُمَ عُلَيه أَجرًا إلا اَلمَوَدة فِي اَلقُربَىَ ﴾[1]

بعد أن والوا الربّ

وآمنوا بموالاة نبيّه، وأبناء بضعته من أولاد وصيّه

وأحفاد نفس المصطفى صلّى الله عليه وآله وسلّم

سيّما حين أمرهم بما حدثّهم به في قرآنه:

﴿ وَابتَغُوا إلَيهِ اَلوَسِيلَةَ ﴾[2]

فلبّوا كرامته، وقاموا بتحقيق طلبته

حينما ابتغوا إليه الوسيلة

1- الشورى (٤٢): ٢٣.
2- المائدة (٥): ٣٥.

لأنّه ما كانت الوسيلة إلاّ بهم

بآل محمّد حيث ما كان قد عوف إلاّ الصواب

ولم يتمّ هناك أي شوك

بل قمّة العنفوان في قمّة العبادة للوب ّالعزيز

وإذن

لم يحق على شيعة آل محمّد

ما حقّ على شيعة عيسى من اليهود

الذين قتلوه!

حتّى شبّه لهم

أو من المسيحيين الذين ألّهوه

فعبدوه من دون الله

لأنّ شيعة آل محمدّ موحدّون

ولا يؤمنون بآل محمّد إلاّ لأنهّم نواس التوحيد

ووصيّ رسوله ما كان إلاّ مولى الموحدّين

وقائد الغرّ المحجلّين

وابنه الحسين بن عليّ شهيد الطف

ما كان إلّا أبا الأحوار من الموحّدين

والأئمة من ولده

ما كانوا إلّا عيون الله في أرضه

والتي تسهر على إقامة دولة التوحيد

حتّى يحين أجل دولة العدل والإحسان في أرضه

علي يدي آخر إمام منهم

وما كان إلّا حجّة الله على عباده

المهدي المنتظر

والذي له أن يبثّ أنوار يوم الغدير وبكلّ تجلياّتها

في كلّ أرض الله وسمائه

كي يحيي سنّة الله أبداً

وينشر أعطاف العدل بين ظهراني كلّ عباده من خلقه!

ثمّ وثمّ وثم...

هل أنّ من يحاول إماتة ذكرى مثل هذا اليوم في نفوس العالمين يفهم بالضرورة كيف أنّ لمثل هذا اليوم الذي احتفى به في واقعيته آلاف الناس بما ينيف على المائة ألف شخص فيسعى أن يقضي على أبدية مثل هذا اليوم في نفوس أبنائهم، والخلف لهم كي لا يستذكروا ما كان يفعل الزمان بالأمس أو ما حصل مع آلاف مؤلّفة في الأمس، فلا يودّون أن يتكرّر الموقع ويعاود الزمان حصائله فيعيد ذكراه الماجدة؟!

ولكن ليس هذا السبب الواحد

لكن السبب الأكثر وعداً هو أنّ الآلاف من البشر التي كانت

حضرت

بالأمس وحاولت فلول منها أن تميت هذا الوحي في نفوسهم في وقتها فإنّ مثل هذه الآلاف قد أصبح في اليوم يعدّ بالملايين المؤلّفة وإنّ هذه الفلول من المتمردين على وحي الإله قد أصبحوا آلافاً.

والخطأ الجسيم أنّ هؤلاء الأخيرين يعني المناوئين حينما وجدوا أعدادهم قدزادت وتضاعفت وأصبحت تكراراً لأرقام عدةّ ظنّوا أنهّم قد أخذوا بأطراف الأرض قاطبة ومن كلّ جهاتها.

وخانتهم المروءة و الذاكرة والفهم والعلم والجغرافيا بأنّ أولئك الآلاف المؤلفّين للحضور في يوم الغدير من الناس الذين عادوا مع رسول الله للرجوع إلى أهاليهم ومواطنهم في شتّى أصقاع الأرض حول مكّة والمدينة أو في شمالهما وشرقهما أو في غربهما وجنوبهما. نعم غاب عن ذهن هؤلاء الغابنين بالقوة والفعل لحقّ الوصيّ وأهل بيته ولحق الرسول قبل كل شّيء في أن يسمع له ويطيع كلّ العرب والعجم من خلق الله في قاطبة أرضه والغابنين أيضاً لحق الإنسانية والتاريخ والبشرية.

نعم ثانية فإنّه قد غاب عنهم أنّ أعداد هؤلاء المحيطين بالنبيّ والوصي قد تضاعف أضعافا مضاعفة وبشكل خطير. فإن زاد عددهم فإنّ أعداد هؤلاء أيضاً قد تضاعف وانظر إلى العدد حينما ينتشر من آحاده كيف لجملة من الأعداد أن تتضاعف هي الأخرى فلو تضاعف عدد٦ هل يمكن أن يعادل مضاعفة العدد١٢٠.٠٠٠ فستّة حين يتمّ ضربها في عدد نفسها سوف تصبح٣٦ ولكن حينما يتمّ ضرب العدد١٢٠.٠٠٠ في نفسه فإنّه يصبح ١٤٤.٠٠٠.٠٠٠.٠٠٠ !

أُنظر إلى التفاوت في هذين الرقمين ونسبة التضاعف في كلّ منهما . فلو تبصرّنا في قضية هذه المعادلة لوجدنا أن الشر مقموع ،وإلى آخر العمر، وأنّ الحقّ قائم حتىّ لو كان للظلم أن يسعى سعيه في كل أقطاب الأرض، ويأتيها من كل أقطارها ؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى أبى إلاّ أن يأتي الأرض من أقطارها!

حتّى لو استطاعت أيادي الخبث واللؤم والظلم أن تسكت كلّ هذه الأصوات المليارية أو البليونية أو حتىّ التريليونية إن

مضينا في المبالغة في صورها غير الخيالية لأنّها أقرب إلى الواقع من حيث مضاعفة أعداد النصرة الإلهية في القرآن الكريم سيّما حينما يؤكّد حول مضاعفة النصر الإلهي ولرسله من لدنه بتعزيز قوات جيش الرسول بروفده بملائكة من عنده مسوّمين ؛ فإنّ النفس الإنسانيّة غير المحابية لأسوار القرآن وحقائق الدين إلاّ عن صدق ومروءة ،ولا تداهن الوضع بل تكشف الصحةّ من الفعل دون الغلواء في الخطأ فإنّ لها أن تعدل عند الله هي الأخرى آلافاً من البشر.

أتحسب أنّك جرمُ صغير

وفيك انطوى العالم الأكبر

يعني أنّ الإنسان حينما ينقلب صورة تعكس كلّ الوجود فإنّ لهذا الأخير في بعض الأوقات أن يجتمع فيه ويكون نسبة هائلة من الوجودات التي لها أن تنطوي فيه وتنعكس في داخله وفي خارجه.

كذلك الفئة القليلة حينما تنتصر على الفئة الكبيرة وبإذن الله هل لها أن تعني بأنّ فعلاً إعجازيا يتم إنجازه أو أن هذا العدد القليل كان قد

اشتمل

على مناصرين آخرين فزاد عددهم في الحقيقة دون إظهار مثل هذه الزيادة والكشف عنها؟

كما أنّها هل يمكنها أن تعني أنّ القوات تضاعفت وأصبح البشر القليلين يحملون هيمنة أعداد أكبر من أعدادهم وأكثر من مصداقيتهم الرياضية وأن قواتهم قد تضاعفت فأصبح الشخص والواحد فيهم يعبّر عن قوات عدةّ أشخاص يشتمل عليها وتعكس فيه قدرته التي هي في الحقيقة ما كانت إلّا عدةّ قوات لعدةّ أشخاص اجتمعت في شخصه وبفعل قوة إلهية هائلة كان أعدّها الله لنصرة أوليائه؟

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّه مَنْ ينصره ﴾[1].

إذن فهذا العدد الذي يمكن أن يختال بمضاعفته أولئك الذين لا يحبّون لمثل هذه المناسبة أن تحيى بين القلوب وتعيش في الأذهان أبداً فاتهم أنّ العدد بالمقابل (يعني عدد الناس الذين لهم أن يسمعوا لقول الرسول وأن يفهموا نداءه الذي له أن يتكرّر اليوم على لسان أوليائه وشيعته من أنصار علي بن أبي طالب ويكرّرون نداءه الذي هتف به في صحراء الغدير وأعلن عنه هناك قبل قرون مضت) له أن يتضاعف بالشكل الرهيب والذي له أن يبقي أرقهم في حيز التفعيل ممّا يؤدّي بهم إلى حرج أكيد وعجز صريح في أن يواصلوا أفانين أحابيلهم بشكلها الطبيعي ممّا سيدفع بهم إلى استلهام الشيطان لأفكار التحدّي والتصدّي للمؤمنين ممّا يقود بهم

1- الحج (٢٢): ٤٠.

إلى تحريم العصا ونكتها في كلّ الرماد والنوان والحطب كي تغيثهم وتسعف خططهم غير الإلهية بل الماكرة بفعل مكر الشيطان الذي

ليس له أن يدوم أو بفعل كيده الذي ما كان إلّا ضعيفاً [1] ، ككيد الساحر الكافر!

لذا ، فإنّ لذكرى الغدير وفي أيامنا هذه وعصرنا هذا أن تعيش بحرارتها في قلوب الملايين ، وليس في قلوب مائة وعشرين ألفاً أو يزيد من الذين لهم أن لا يفهموا أو يستوعبوا كلام الرسول على حقيقته أو ينسوه أو يتناسوه لكننّا اليوم نعيش في عصر يحمل بين ثناياه كلّ عصور المعلوماتية التي لها أن تتكاثر في اللحظة والأخرى وأن تنقل المعلومة في أسرع من لغة الضوء أو أن تضخ إلى العقل البشري في أقصى بقاع المعمورة كلّ ما يحتاجه من معلومات أو بكلّ ما يكن أن تبلّ عطشه الفكري وتجيب عن كافة أسئلته التي لا يجد لها مجيباً.

إذن الخطر مرّة أخرى يحدق بلغة الكافرين. فانتدبوا من يشغل الشباب العربي والمسلم والأُمّة الإسلامية جمعاء عن اللحاق الفكري بكلّ هذه الإعجازات العلمية والثقافية في لغة المعلومات المعاصرة وهي لغة الإنترنيت العالمية يعني الشبكة العنكبوتية للمعلومات، وعمدوا إلى إشغال الناس بأفكار واهمة وبرامج لا أخلاقية كي يشغلوا عصب الإنسان عن التفكير في واقعية العيش الحقيقي ويلهونه عن اللحاق بقصب السبق في العثور على إجابات مقنعة لكافة أسئلته بل عمدوا حقيقة إلى إشغال الناس

1- { إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا} ، النساء (٤): ٧٦.

عن التفكير... يعني مجرّد التفكير بقضية الولاية أو الحاكمية أو مصداقية أهل البيتF بالانفتاح على موروث تاريخي غير صدوق وإلهائهم به ودفعهم للانكباب عليه دون تحصيل ولا حتّى أي حاصل وتحفزهم لترك أي موروث شيعي صحيح ؛ لأنّه بنظرهم موروث زائف لا يمتّ إلى التاريخ بصلة ، وما كان هذا في الحقيقة هو همّهم الأساس ، ولكن همّهم الأساس من أراد أن يخفي إحداثيات السفينة المذكورة في البحر لا خوفاً من نفس السفينة أو حتّى من ركوب البعض فيها ، ولكن خوفهم من أن يكتشف الناس ما في السفينة من أسرار تشتمل على سرّ آل محمدّ وأحقيتّهم في الولاية وهداية البشر، وحكومة العالم، كما سيحصل إن شاء الله بظهور صاحب العصر و الزمان حجّة الله الغالب كيما يقيم حكومة العدل الإلهية بين البشر.. ويحكم ملّة آدم وحواء كما أراد الله لخليفته أن يحكمهم.

إذن المشكلة ليست تكمن في نفس التاريخ لكنّها تكمن في محصول من محاصيل تاريخية وفي زمن معين مما دفع بالعصبة المرتدة إلى أن تكرّس فعلها للنهوض بأسباب الأخذ بتاريخ مزيف بدل أن ترشد الناس إلى تاريخ صحيح فجعلت تكبر في أعين الناس حصائل تاريخية ليست على تلك الأهمّية وليست من القدرة العقلية والإنسانية بمكان من أجل أن تعمّ على أخريات من الحقائق، وتكافح في تدليس حقائق مثيرة لو اطّلع الناس على واقعيتها لاتبعوا أصحابها مثل ما يقول الإمام الرضا عليه السلام: « لو عرف الناس علومنا لاتبّعونا » [1] .

1- انظر معاني الأخبار للشيخ الصدوق: ١٨٠، طبعة جماعة المدرسين- قم.

لذا فإنّ كلّ هذه التحريكات والأنشطة من أجل نشر علوم دينية أو بشرية بشكل غريب ومكثفّ ما كانت لغاية إلهية إنماّ هي من أجل إشغال الناس وإلهاء أوعيتهم عن مناطات أكثر وقعاً في النفس كي لا ينشغلوا بها أو يهتموّا بها قيد لحظة مماّ يبعث بالفئة الضالةّ إلى نشر وتكثيف إنفاقاتها في سبيل نشر موروث معين وترك الناس تعتاد عليه ،ولا تعتاد على غيره فلا تفكر بعده في أي علميات أخرى وإن حصل للبعض أن تعرّف على علوم غير تلك العلوم كان لهم أن يقعوه عن مجردّ البحث في أسسها بعد تخريب أفكاره بمجمل الصدود، وبعد أن يزرعوا في ذهنه ، ويعبّؤا نفسيتّه بآلاف الحجج المختلقة والتي لها أن تقف بوجه لحق الإنسان بحقائق إلهية دامغة والتصديّ لطريق الحقّ عبر الإملاء على عقليته بأنّ ما يجده في بطون مثل هذه الكتب من معارف ما هي إلاّ أفكار مختلقة نهضت بها مجموعة من البشر لا تريد للإنسان أن يصل بنفسه إلى مستوى رفيع بل تريده أن ينحرف عن لغة الصحابة وتاريخ الرسالة مع أنّهم لا يبغون في ذلك إلّا عوجاً، وصرف الأنظار الإنسانية عن طريق الحق الصحيح عبر كل هذه الإشغالات الممجوجة فيحرفون الكلم عن مواضعه والأذهان عن طريقها الإلهي الصحيح عبر بثّ الشبهات وتفعيل الغايات الإلهية في التصديّ لشيعة آل الرسول واغواء كل ذي عقل رخيص بمحاولات أكثر رخصاً في محاولة إسكات مثل هذا الضخّ الإلهي تحت ذرائع واهية وتمجيدات كاذبة لا تريد للإنسان أن يحيا بألفة ومودّة بل تريد له الدمار عبر زرع نار الفتنة بين المسلم وأخيه المسلم.

الصفحة 52

وما كانت هذه المحاولات اللئيمة إلّا أساساً ركيزاً من أسس وموتكوات الاستعمار الحديث والتي أصبح أذنابه من المسلمين الشاذّين والعملاء له يقومون بمهامّة التي ما عاد هو يقوم بها بعد أن وجد في مثل تلك الفتن وهؤلاء المغرّر بهم كل لّهوه ومؤدّاه وغايته! كيما يتسلط على الأمّة الإسلامية ويفني أسسها ويذيب القها بعد أن يحرق وجودها ويشعل نيران الضلالة بين أفرادها فلا يبقى بعدها مسلم يقف بوجهه ؛ لأنّه في وقتها سيكون قد انشغل في قتال أخيه المسلم، وحسب !

الصفحة 53

الفصل الرابع

فلسفة حديث الغدير

كما اشتقّت من المصادر

يُعتبر حديث الغدير من الأحاديث التاريخية الهامّة والمصيرية التي أدلى بها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في السنة الأخيرة من حياته المباركة ،وهي من الأحاديث التي تثبت إمامة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وتوجب ولايته على جميع المؤمنين بعد ولاية الله تعالى وولاية رسوله المصطفى صلى الله عليه و آله و سلم بكلّ صراحة ووضوح.

ثمّ إنّ حديث الغدير حديث متواتر [1] رواه المحدّثون عن أصحاب النبي صلى الله عليه و آله و سلم وعن التابعين بصيغ مختلفة، تؤكّد جميعها على إمامة الإمام

أمير

1- صرّح بتواتر حديث الغدير جماعة من علماء السنة، كما اعترف جماعة بصحته، نذكر منهم:

١) الغزالي: أبو حامد محمّد بن محمّد ، المتوفى سنة: ٥٠٥ هـ في كتابه: سرّ العالمين: ١٣، طبعة مكتبة الجندي ـ مصر.

٢) شمس الدين الشافعي: أبو الخير شمس الدين بن محمّد بن محمّد بن الجزري، المتوفى سنة: ٨٣٣هـ في كتابه: أسنى المطالب: ٤٧، طبعة طهران ـ إيران.

٣) القسطلاني: في كتابه: شرح المواهب اللدنية ٧: ١٣، طبعة المطبعة الأزهرية ـ القاهرة.

٤) المنصور بالله: الحسين بن أمير المؤمنين المنصور بالله ، القاسم بن محمّد المتوفّى سنة: ١٠٥٠ هـ في كتابه: هداية العقول إلى غاية السؤول في علم الأصول ٢: ٤٥، طبعة صنعاء ـ اليمن.

المؤمنين عليه السلام، لكون الجوهر الأصلي فيه واحد وإن اختلفت بعض العبارات.

أمّا نسبة الحديث إلى الغدير فيعود سببه إلى أنّ النبي أدلى بهذا الحديث على أرض غدير خم[1] في اجتماع حاشد يضم ما يربو على مائة ألف من المسلمين وذلك بعد رجوعه من أداء مناسك الحجّ في آخر سنة من حياته المباركة.

وقد تناقلت المصادر الإسلامية السنيّة والشيعيّة على حد سواء حديث الغدير في كتب التفسير والحديث والتاريخ والكلام وغيرها بأكثر من عشر صيغ وفي ما يقارب المائة من الكتب المعتبرة المعتمدة.

أمّا رواة حديث الغدير الذين تمكّن التاريخ من ضبط أسمائهم فهم: من الأصحاب (١١٠) صحابياً ومن التابعين (٨٤) تابعياً، وأما رواة هذا الحديث من العلماء والمحدثين عددهم (٣٧٠)راوياً[2] ، كما ألّف علماء الإسلام كتباً مستقلة في هذا الحديث إذعاناً منهم بأهمية هذا الحديث وصحته ومصيرية موضوعه[3] .

1- غدير خم: موضع بين مكّة المكرمة والمدينة المنوّرة على مقربة من الجحفة التي هي من المواقيت التي يُحرم منها الحجاج للحجّ أو العمرة.

2 - لمعرفة أسماء رواة حديث الغدير يراجع: الغدير في الكتاب والسنة والأدب، لمؤلفه القدير العلامة الشيخ عبد الحسين الأميني قدّس الله نفسه الزكية، المتوفّى سنة١٣٩٠هـ .

3- لمعرفة أسماء المؤلفين في حديث الغدير يراجع: الغدير في الكتاب والسنّة والأدب١: ١٥٢ – ١٥٧.

وفي ما يلي نذكر بعض النماذج التي أوردها بعض أكابر علماء السنّة في كتبهم رعاية للاختصار، من ثمّ سنعمد إلى التعرّض إلى أوفى النقول، ومن شاء التفصيل فليراجع مصادر الحديث[1] :

١) أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال الشيباني، المتوفّى سنة٢٤١ هـ ، عن البراء بن عازب، قال: كنّا مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في سفر فقلنا بغدير خم، فنودي فينا الصلاة جامعة ، وكسح لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم تحت شجرتين فصلّى الظهر وأخذ بيد علي رضي الله عنه

فقال: « ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم»؟

قالوا: بلى.

قال: « ألستم تعلمون أنّي أولى بكلّ مؤمن من نفسه »؟

قالوا: بلى.

فأخذ بيد علي!

1- المصادر التي ذكرت حديث الغدير كثيرة جداً ، لكنّنا هنا نشير إلى بعضها كما يلي مع انّنا سنتعرّض لها فيما بعد:

١) مسند أحمد بن حنبل ٤: ٣٦٨، طبعة دار صادر ـ بيروت.

٢) خصائص أمير المؤمنين للنسائي: ٩٨، طبعة بيروت.

٣) السيرة الحلبية ٣: ٢٧٤، طبعة دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٤) كنز العمال ٥: ٢٩٠، طبعة منشورات التراث الإسلامي ـ حلب.

فقال: « من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

فلقيه عمر بعد ذلك فقال له : هنيئاً يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة [1] .

٢) الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن عليّ ، المتوفّى سنة٤٦٣ هـ ، عن أبي هريرة ، قال : من صام يوم ثمان عشرة من ذي الحجّة كتب له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدير خم لمّا أخذ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بيد علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: « ألست أولى بالمؤمنين »؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: « من كنت مولاه فعليّ مولاه ».

فقال عمر بن الخطاب: بخٍ بخٍ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلّ مسلم [2] .

٣) ابن حجر: أحمد بن حجر الهيتمي، المتوفّى سنة٩٧٤ هـ ، أنّ النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال يوم غدير خم: « من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، واحبّ من أحبّه، وابغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحقّ معه حيث دار » .

1- مسند أحمد بن حنبل ٤: ٢٨١، طبعة دار صادر ـ بيروت.
2- تاريخ بغداد ٨: ٢٩٠، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت.

وقال ابن حجر حول حديث الغدير: إنّه حديث صحيح لا مريّة فيه ، وقد أخرجه جماعة كالترمذي والنسائي وأحمد ، وطرقه كثيرة جداً، ومن ثمّ رواه ستّة عشر صحابياً، وفي رواية لأحمد أنه سمعه من النبي صلى الله عليه و آله و سلم ثلاثون صحابيا وشهدوا به لعلي لمّا نزع أيام خلافته [1] ... وكثيراً من أسانيدها صحاح وحسان، ولا التفات لمن قدح في صحّته [2] .

وممّا تقدّم يمكن استخلاص النقاط التالية:

(١) إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إنمّا أدلى بهذا الحديث بأمر من الله تعالى وذلك بعد نزول آية التبليغ وهي:

1 - تجدر الإشارة هنا إلى أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عندما نُوزع في الخلافة جمع الناس في «الرحبة» واستشهدهم قائلاً: انشد الله كلّ امرئ إلّا قام وشهد بما سمع – أي بما سمع من رسول الله يوم الغدير – ولا يقيم إلّا من رآه بعينه وسمعه بأذنيه، فقام ثلاثون صحابياً فيهم اثنا عشر بدرياً، فشهدوا.. يقول العلامة السيد عبد الحسين شرف الدينR : ولا يخفى أنّ يوم الرحبة إنّما كان في خلافة أمير المؤمنين، وقد بويع سنة خمس وثلاثين، ويوم الغدير إنّما كان في حجّة الوداع سنة عشر، فبين اليومين – في أقل الصور – خمس وعشرين سنة، كان في خلالها طاعون عمواس، وحروب الفتوحات والغزوات على عهد الخلفاء الثلاثة، وهذه المدّة – وهي ربع قرن – بمجرد طولها وبحروبها وغاراتها، وبطاعون عمواسها الجارف، قد أفنت جُل من شهد يوم الغدير من شيوخ الصحابة وكهولهم، ومن فتيانهم المتسرّعين – في الجهاد – إلى لقاء الله عزّ وجلّ ورسوله صلى الله عليه و آله و سلم حتّى لم يبق منهم حيّاً بالنسبة إلى من مات إلّا القليل والأحياء كانوا منتشرون في الأرض... المراجعات: ١٧٢، طبعة دار المرتضى.
2- الصواعق المحرقة في الرّد على أهل البدع والزندقة: ٦٤، طبعة ـ القاهرة .

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾

﴿ [1] ، في يوم الغدير تحدّثه على تنصيب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام خليفة له وإماماً للناس [2] .

1- المائدة (٥): ٦٧.
2 - صرّح الكثير من المفسرين بأنّ نزول آية التبليغ كان في يوم الغدير لدى رجوع النبي صلى الله عليه و آله و سلم من حجّة الوداع في مكان يسمّى بـ« غدير خم » ، وفي ما يلي نشير إلى بعض من صرّح بذلك:

١) أبو الحسن علي بن احمد الواحدي النيسابوري، المتوفّى سنة٤٦٨هـ ، عن أبي سعيد الخدري، قال: « نزلت هذه الآية: } يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ { يوم غدير خم، في علي بن أبي طالب رضي الله عنه » أسباب النزول: ١١٥، طبعة : المكتبة الثقافية ـ بيروت.

٢) عبيد الله بن عبد الله بن إحمد ، المعروف بالحاكم الحسكاني من أعلام القرن الخامس الهجري: روى بإسناده عن ابن عباس في قوله: } يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ { الآية ، قال : نزلت في علي، أمر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أن يبلغ فيه ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بيد علي فقال : « من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » شواهد التنزيل ١: ١٩٠، طبعة منشورات الأعلمي ـ بيروت.

٣) فخر الدين الرازي ، المتوفى سنة٦٠٤ هـ ذكر من جملة الوجوه الواردة في سبب نزول آية : } يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ { أنّها نزلت في الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وعدّه الوجه العاشر من الوجوه المذكورة ، قال: نزلت الآية في فضل علي بن أبي طالب عليه السلام، ولمّا نزلت هذه الآية أخذ بيده وقال: « من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، فلقيه عمر فقال : هنيئاً لك يا ابن أبي طالب ، أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة.

وهو قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمّد بن علي، التفسير الكبير ١٢: ٤٢، طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت .

٤) جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة٩١١ هـ روى بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال: « نزلت هذه الآية : } يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ{ على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يوم غدير خم في علي بن أبي طالب » الدر المنثور ٣: ١١٧ ، طبعة محمّد أمين - بيروت.

٥) أبو الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي، المتوفّى سنة١٢٧٠ هـ ، عن ابن عباس ، قال : نزلت الآية: } يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ { في علي حيث أمر الله سبحانه أن يخبر الناس بولايته ، فتخوّف رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أن يقولوا حابى ابن عمّه وأن يطعنوا في ذلك عليه ، فأوحى الله تعالى إليه ، فقام بولايته يوم غدير خم، وأخذ بيده ، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: « من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » روح المعاني٤: ٢٨٢، طبعة دار الفكر – بيروت.

(٢) التدبّر في الآية السابقة ولهجتها الصارمة بصورة عامة، مضافاً إلى التدبرّ في دلالة ﴿ وَاللّهُ يُعصِمُكِ مُنَ النِاسَ ...﴾ يكشف لنا عن حساسية القضية وخطورة المسألة المطروحة.

(٣) إنّ انتخاب « غدير خم » الصحراء القاحلة التي يلفحها الهجير وتلتهب رمالها بوهج الظهيرة كمكان لإلقاء حديث الغدير، وانتخاب المقطع الأخير من حياة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم كزمان لإلقاء الحديث، وانتخاب الاجتماع

التاريخي الحاشد الذي يشكّله الحجّاج العائدون من بيت الله الحرام كمستمعين لهذا الخطاب التاريخي الهام، إلى غيرها من الأمور إن عبرت عن شيء فإنّما تعبرّ عن أهمية ما أمر الله النبي صلى الله عليه و آله و سلم بإبلاغه، وهو تعيين المسار القيادي للأُمّة الإسلامية دينياً وسياسيا.

كما أنّ عدم إبلاغ النبي صلى الله عليه و آله و سلم الناس ولاية أمير المؤمنين عليه السلام يُعد

مساوياً لعدم تبليغ الرسالة الإلهية، وهذا مما يبيّن أهمية مسألة الإمامة والقيادة ويفهم هذا المعنى من قول الله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ تفعَلْ فَمَا بَلغت رِسَالَته..﴾.

(٤) إنّ المخطّط الإلهي للحياة البشرية مخطط حكيم وكامل ولا يمكن أن يهمل مسألة قيادة الأمة الإسلامية بعد الرسول صلى الله عليه و آله و سلم بدون تخطيط أو يترك الأُمّة من غير راع وولي، وهذا مما يدفع بالأمة إلى الانزلاق نحو هاوية الفتن والصراعات والتناقضات، ويكون سبباً لإهدار أتعاب الرسالة، وهو ما لا يقبله العقل السليم ولا يصدقّه الشرع طبعا.

(٥) إنّ نزول آية الإكمال وهي: ﴿... الْيَوْمَ أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا...﴾[1] في يوم الغدير بعد إبلاغ النبي صلى الله عليه و آله و سلم الناس ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لدليل واضح على أنّ اكتمال أهداف الرسالة وضمان عدم وقوع انحراف أو فراغ تشريعي أو قيادي أو سياسي بعد الرسول صلى الله عليه و آله و سلم، إنّما يتحقق في حالة استمرارية القيادة المنصوبة والمنصوص عليها من قبل الله عجل الله تعالى.

وفي ضوء ما تقدّمت الإشارة إليه من النقاط يمكن أن نفهم عمق العلاقة بين النصوص القرآنية[2]، في يوم الغدير الذي تمّ من خلاله تعيين

1- المائدة (٥): ٣.
2- المراد من النصوص القرآنية الآيات التالية:

١) آية التبليغ وهي: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ{ المائدة (٥): ٦٧.

٢) آية الإكمال وهي: } ... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا...{ المائدة (٥): ٣.

٣) الآيات الأوائل من سورة المعارج، وهي: } سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ{ المعارج (٧٠): ١ – ٣ ، ولقد صرّح غير واحد من المفسّرين والمحدثين بنزول العذاب على جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة العبدري – أو غيره على خلاف – وهلاكه ، والقصّة يرويها الحافظ أبو عبد الله الهروي كالتالي: لمّا بلّغ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم غدير خم ما بلغ، وشاع ذلك في البلاد، أتى جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة العبدري، فقال: يا محمّد أمرتنا من الله أن نشهد أن لا إله إلّا الله، وأنك رسول الله، وبالصلاة والصوم والحج والزكاة فقبلنا منك ، ثمّ لم ترض بذلك حتّى رفعت بضبع ابن عمّك ففضّلته علينا، وقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه، فهذا شيء منك أم من الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «والذي لا إله إلّا هو إنّ هذا من الله» فولى جابر يريد راحلته وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمّد حقّاً فأمطر علينا حجارة من السماء، أو أئتنا بعذاب أليم، فما وصل إليها – أي إلى الراحلة – حتّى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره وقتله، وأنزل الله تعالى: } سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ... { الآية. الغدير في الكتاب والسنّة والأدب١: ٢٣٩، للعلامة الشيخ عبد الحسين الأميني R، وقد ذكر المؤلف مجموعة من المصادر التي ذكرت أنّ الآية نزلت بهذه المناسبة.

الخليفة والإمام من قبل ربّ العالمين، وبواسطة رسوله الأمين صلى الله عليه و آله و سلم.

وأخيراً: فإنّ للحديث أن يحمل دلالة واضحة وصريحة على إمامة

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام باعتباره المرشّح الوحيد لتسلّم زمام الأمة بعد النبي صلى الله عليه و آله و سلم، وكونه الولي الشرعي المنصوب من قبل ربّ العالمين بواسطة سيّد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه و آله و سلم.

وهو الأمر الذي اعتبره الله عجل الله تعالى تكميلاً للرسالة وتتميماً للنعمة إذ قال: ﴿ ... **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...** ﴾ وللوقوف على تفاصيل أكثر لحديث الغدير وكلّ ما يتعلّق به سيمّا بواسته بصورة دقيقة وشاملة يمكن مراجعة الكتب التالية:

١) الغدير في الكتاب والسنّة والأدب، للعلاّمة الشيخ عبد الحسين الأميني قدس سره.

٢) المراجعات، للعلاّمة السيّد عبد الحسين شرف الدين الموسوي قدس سره.

الفصل الخامس

في انتظار الزمن الذي لم يأتِ بعد!

عود على بدء

كما لو كنا نحتفل بالغدير في كلّ يوم مرّة أو أكثر

أو في كلّ عام مرّة

أو في كلّ أيامنا وبكلّ لحظاتها وساعاتها

ولكن

رضينا أم لم نرض

فإنّ أيام ذكرى يوم الغدير..

هي لازالت تطلّ علينا في العام مرّة

لكنّها لا تصادفنا ولا ننتظرها إلاّ كما كانت تحيى معنا أبداً

فنعود نحتفل بها ونحتفي بكلّ شؤونها في كلّ يوم مرّة

وأكثر من مرّة.

ولذا علينا أن نترك العمل لخمسة أيام

نتّخذها عطلة رسمية لنا ولأجيالنا التي تأتي من ورائنا

كي ننتبه لها أكثر

ونحتفل بها أكثر

شريطة أن نترك لأيام عيد الفطر ثلاثة أيام

ولأيام عيد الأضحى أربعة أيام

لأنّها ليست بأعظم من عيد الغدير

لذا علينا أن نمتحن أنفسنا بخمسة أيام

نفضي فيها إلى علوم آل محمّد

سعادة وبهجة وفرح

نتزاور ونتصافح ونتآخى

كما لو كنّا إخوة مذ ولدتنا أمهاتنا

بل أعظم

لأنّنا إخوة يوم الغدير

نتآخى في علي وولايته

وولاية أولاده من الأئمّة المعصومين

وولاية من تبعه إلى يوم الدين

إنّها ذكرى ليست بالغريبة علينا

ولا تفاجئنا أيّامها وساعاتها بكلّ ذكرياتها وأشواقنا إليها كلمّا طلتّ علينا.

لأنّها تعيش معنا في الحنين والذكرى واليوم والنهار منه (والليل إذا

يسري هل في ذلك خبر لذي حجر)!

لأنّ ذكراها مازالت حبلى بالأماني التي لازالت تعيش في قلوبنا قبل أن تحيى في أذهاننا التي تشهد لها الأقدار وكلّ الأحايين.

إذ أنّها ما كانت إلاّ ريحانة الأعصار التي تمتدّ فوق أثيل المجد الذي ظل يّغطي سحابة الأمس والحاضر.

ثمّ.

هل يمكن أن يموّج الحلم باليقظة؟

هل يمكن أن يلتئم الجرح فيلبس ليل الدم بصبح البلسم؟

وهل يمكن لقبضة من قمح أن تنقلب شمعة تضيء في كلّ مساء...

وهل يمكن لغربة أن تتحدّر فيصيب رذاذها معين حبّ يطوف خياله في بحر من الأنسام التي لا يقوضها سوى ريح الطريق...

ثمّة قمر يطوف في الأرجاء، ويبحث له عن عشّ كي لا تفارقه لحظة فرح. ربمّا غرق في وهدة تركته يفتشّ عن نصيبه من الحبّ والوفاء وكيف له أن يثبت ولاءه للأفلاك وكيف له أن يثبت حسن سيرته لمنارات الأنجم التي تراكمت في أعالي السماء؟

وكيف لفرحة البشر أن تفوق حجم الوصف؟

ولكن هل يمكن للسبب نفسه أن يستوحي – وفي غمرة كلّ هذا السيل من الجروح العاطفي وتفجر المشاعر – صفات ترسل عليه آيات

العزّ والوفاء؟

لكن الجو قائظ والسماء تفيض بلهبها المشحون بكلّ نبال الحرّ القيظ.. هل يمكن أن تفلح السنون فترزع غصونا فَي الدرب من قبل أن تفيض هذه بورودها المدمّجة رائحة الأصيل؟

هل يمكن أن تحرث الشمس بحرارتها أرض الصحراء فترثها حبّ النخيل ولمس العذب من ماء الغدير.

ولكن ما من غدير بإمكانه أن يتّسع لكلّ هذه السنين من الأحلام وليس بوسع أي غدير أن يضمّ بين حناياه ويشتمل بين ثناياه على كلّ ما يحلم ويفكّر به المرء!

هل بميسور شخص ما أو أكثر أن يحيل عصب الحياة إلى شيء أشبه بذلك أو أن يقذف بليل الظلمات الذي يغطّي صعيد الأيام ليبدّلها بنهار النور؟

ولكن كيف للصحراء أن تبلّ غليل عطشها وتطفئ حرّ نوان صعيدها؟ هل يمكن أن يمتدّ عصب وشريان في ضلع من المساحات ليفرغ رزمات من الوعد والوعيد؟

هل يمكن أن تنمحي الظلمات وتندلق ليال من السحب غير المتوهجّة لتثير غيرها من وافدات الخير والبهاء طلعتها في كبد السماء المؤتلقة بريح كان بوسعها منذ قديم الزمان أن تبلّ عطش كلّ روع الأحياء وكلّ وهاد الأرض وهضابها!

غير أنّها اليوم ما أرسلت إلاّ لتلقي بتحيتّها صوب قطر كان ينثال بأثرية طاغية في السماح والنبل والسخاء.

بيد أنّ السماء مازالت تطفح بمياه عالقة في أرجائها!

هل آثرت على نفسها؟ فبدلاً من أن تطفئ لوعة أديمها المكتئب بلحن من ألحان السيب الذي يمكن أن يزدحم به سديم كلّ

شئ كان تتزّع – ومن قبل – في أنواء تلك السماء الشاهقة.. فبدلاً من أن تفعل مثل ذلك خلدت إلى لحن كان يمثل لديها أكثر الخلود خلوداً وأعظم من الصباح صباحاً لأنهّا كانت ترى فيه دوام غوهاً وسببا هاًما فيّ قيامها ما حييت الألوان من الخلق والأنواع من الموجودات!

لكنّها ما كانت لتصبر على منح نراها وهي التي ما كانترأتها من قبل إلاّ سامية ولكنهّا اليوم كانت ألفت كل نّراها يلتئم في حلقات تسافر بها صوب الأرض حيث صعيد صحراوي يغلي من شدّةوهج الشمس التي ما كانت ترغب في إحراق ما ينحدر فوق بساطه من أيّما شعاع لها إلاّ وسحاب يأججّ الأنام كي تلمح فيها ثقل هيام ولفحة برودة فلا يتعاظم شيؤها كل ّ العظمةولا تعظمرمضاء بطاح تلك البقاع أيّ عظمة..

ولكنّها اليوم كانت مرُغمة أن تكتب كل ّقصائدها حقيقية فوق صعيد الأرض التي أراد بها كبرياء إلهي حقيقي هو الآخر أن يمتحن أفئدة عباده لاسيّما خلُصّهم الخلوصين!

وكيف لا ويوم عصيب يفوح من ريحانه كلّ طيب لا يبينّ له ملمح

ولا أثر إلّا الأرض والسماوات بأشملها!

وكيف لا وهو ما كان إلّا يوم أشعر أفق الكواكب قبل أرضينه بهالات كلّ الأضواء التي تميل بخيلاء فوق نور عليائه وروح أشيائه كما لو كان التيه هنا ورقة لا يغامر بها أحد إلّا من كان له قلب وأخفض سمعه وهو شهيد ذلك أنّ المقامرة ليس لها سجال ها هنا لأنّ كلّ الأيام استحالت حرارة فما من مغامرة تفوق المبادئ وما من مغامرة تستأهل الكفاح من أجل استيعاب كلّ الضياء، وإطلاق كلّ شعاعات الأنوار في وقت واحد في كل ّالأصقاع ؛ لأن ّالحلم فيه كان بوسعه أن يهضم حرارة كل ّ الأفلاك ويستعير لون الأقداح كما لو كانت بلورات ثلج عائمة وسط مخالب ناتئة تحوم في كلّ أرجاء محيطات وبحرات القطب والانجماد.

إنّها كانت مطيعة لخالقها لأنّها شمس تعيش في إحدى نقاط الوجود «الإمكانية» والتي يعود ملكها إلى موجدها وصانع النار فيها تلتهب كالكرة لا تهدأ ولا تنطفئ. وهو الذي كان أوحي لها بأنّ الأمر ما كان يعدوها.

ولكن عجلة الزمان لم تتوقف إلّا لأجل انصياع كلّ القوات إلى الذات العليا، ذات الإله ، ولم تنصع ساعة الأوقات إلاّ لأجل مهمّة أعظم ومشاق ّجهد أكبر وأوسع نطاقاً.

إنّ الوقت يكاد ينقضّى وتعجل عربة القضاء والقدر لتلقي بأثقالها التي اكتنزها الزمان وخبأّها عفوة في حسابات خفية لا يدركها إلّا أساطين العلم وجحاجيح الفراسة.

تلك المسافات كان يطويها الحجّاج وكان يفترض في كلّ حاج ّيود العودة إلى أرضه ووطنه أن يقطعها إن كان يستلزم طريق رجوعه امتطاء ظهر تلك المسافات رويداً رويداً.

الطريق بين مكّة والمدينة. كثيرة هي الأصوات ومتعدّدة هي تعاريج الكثبان الرملية وتلولها التي تكاد تلامس حناجر المسافرين في هذه الطرق حينما تعانق زفراتها المتطايرة أجواف حلوقهم وتضرب في أوتارهم الصوتية وتلبسهم ثوب الحرمان من جمالية السفر وعنفوان الرحيل إلى كلّ زمان ومكان.

الناس جميعاً يرومون قطع المسافة مهما كلفّ الأمر، والحاجوّن الذين أنهوا حجهّم واستمعوا إلى خطبة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم كان التعب قد أرهقهم وهدّهم لبعد المسافة وثقل الأحمال والمؤنة لكن وجود الرسول إلى جانبهم كان يخففّ من عبء السفر فضلاً عن اعتقادهم المتأصل بنبيّ الإسلام واعتناقهم المذهب عن إيمان واعتقاد لاسيماّ أن أكثرهم كان من أهل الشام واليمن يضاف إليهم جمع عظيم أيضاً من الأنصار والمهاجرين من أهل المدينة.

لكنّهم يغذون السير دون هوادة تحدوهم طموحات كثيرة.

كيف سيعلنون عن الدين بين أهليهم وكيف سيبشرون بالنبيّ الأعظم وهم الذين رأوه فكان عليهم أن يتزوّدوا منه الكثير كي لا يعوزهم ما يشعرون بالافتقار إليه حينما يصلون إلى أسرهم وعشائرهم وقبائلهم.

ولكن أيّ أمل يدفعهم لمواصلة الطريق بل أي آمال كانت هي التي حدت بهم إلى المجئ إلى مكّة وتعلمّ مناسك الدين الجديد.

إنّهم أناس حديثو عهد بالإسلام وفيهم الكثير أيضاً ليس تدينّهم وانتماءهم إلى الإسلام من الحداثة بشئ لأنهمّ اعتنقوه منذ سنوات لكن كثير منهم كان ينظر إلى هؤلاء المحدّثين بالدين نظرة حقد وحسد ربمّا لأن الطهارة في الانتماء تنقصهم في نفس الوقت الذي كانوا يجدون مثل هذه الروح الطيبة في هؤلاء الجدد من ذوي الأنفاس الحديثة عهداً بدين التوحيد ومبدأ الإيمان والبعث والإمامة والنبوّة والعدل.

ربمّا كان جملة من القدامى ينظرون إلى هؤلاء ويفكرّون في احتمالية الإفادة من كلّ هذا العدد الهائل لضمهّ إلى أصواتهم في حال حدوث أي اعتراض أو اختلاف أو...

هل يمكن أن ينضمّ كلّ هذا العدد إلى ميولهم وهم يجدون الرسول على وشك أن يغادر إلى ربهّ وأن لا يغادر الآن فإنهّ سوف يرحل يوماً ما وهل لهم أن ينتهزوا الفرص يعني فرصة غيبته ويتنكرّوا لكلّ ما دعاهم الرسول لما يحييهم فيه وبأمر من البارئ جلّ وعلا؟ وهل بإمكانهم مواجهة كلّ هذا العدد الهائل والكم العظيم من الناس فيما لو هم اعتقدوا باعتقاد غير الذي يعتقدون هم به أو في حافل أنّهم انقلبوا على الرسول بعد موته ورحيله هل سيكون بوسعهم إقناع كلّ هذا العدد من الناس لكسبهم إلى جانبهم ومن ثمّ تجنيدهم لصالح مطامعهم وإركابهم مركبهم الذي يشتهون؟

وهل أنّهم يعتقدون بأنّ الرسول قد فاته أن يؤكدّ لمثل هؤلاء ما

يريد

التأكيد عليه بصدد ما يتعلق بأمر الإمامة والوصاية من بعده وهم الذين يعلمون علم اليقين أنّه يقصدها ويعلمون علم اليقين أنّ معاشر القبائل ومجاميع الناس الذين قدموا من كلّ البقاع ومختلف الأصقاع والأمكنة ومن الوهاد والجبال والهضاب والتلال والصحاري هم لا يحملون الصورة الأساسية عن هذا المبنى أو هذا المعلم من معالم الدين الحقيقية أو قل لا يدركون أو فيهم من يجهل بالتمام حقيقة وصاية علي بن أبي طالب وإمامته بعد رحيل الرسول وأنّه القائم مقامه ونائبه بالحقّ في حال غيبته أو سفره وهو المؤدّي عنه في كلّ الأوقات والأزمنة وهو الكفؤ من بعده؟

ولكن أنّى لهؤلاء أن يهدأ لهم بال وهم مازالوا يتطلّعون إلى الحكم والسلطة وها هو ملك محمدّ بن عبد الله – حسبما يتصوّرون ؛ لأنّهم بعد لم يدخل الإيمان في قلوبهم مدخله الحقيقي والصحيح –واذن لقد بلغ ما بلغ ووصل صيته وقوته في كلّ الأرجاء وقامت له السموات والأرضين وذاع أمره ودان له القصيّ والبعيد.

إنّهم ما فتئوا ينظرون إلى الأمر على أنه أمر تسلّطي وغلبي وانهّم إن لم ينتهزوا الفرصة ويغتنموا الأمر فإن غيرهم سيسبقهم إليه ويستحوذ عليه كما أنّهم لا ينظرون إلى الأمر من الناحية الإلهية لذا فهم يفتقرون بعد إلى الإيمان الواعي أو قل الإذعان للأمر الإلهي ؛ لأنّ نفوسهم مازالت تغالبهم وتصارعهم للحصول على الشهوات والمطامع الدنيوية، وليس فيهم من تردعه نفسه وتهديه لسواء السبيل وتطالبه بالتخلّي عن

أفكاره والانصياع لنداء الرسول الذي ما رأوه إلّا قبلياً وأنه يفضل علي بن أبي طالب لأنه ابن

عمّه وأنّه زوج البتول ابنته وأنهّ المطيع له بكل حواسه وجوارحه.

فمازال الأمر يوحي لهم بكثير وكثير وهم مازالوا يئنّون تحت وطأة احتمال القضية لوجوه متعددّة ونواحي مختلفة.

وهم يعلمون أنّهم ليسوا الوحيدين الذين بإمكانهم التصيدّ في المياه العكرة فهناك غيرهم كثير ممنّ تلوثهّم الأحقاد الجاهلية من الموتورين والذين لم يدخل الإيمان في قلوبهم إنّما نازعتهم نفوسهم إلى حفظها والإبقاء عليها فأعلنوا إيمانهم بالسنّة والكتاب وأعلنوا عن اعتقادهم بالرسول وشوعة القهار لكنّهم في قرارة أنفسهم لم يقنعوا بكلّ ما جاء به الرسول ولم يكن بالسهل أن يتخلّوا عن أفكارهم القديمة أو طباعهم وسجاياهم وما احتكمت إليه نفوسهم من قبل وما اعتادت عليه قرائحهم من عيش وهضم للأموال وطمع وشره هو لم يزل بعد يجري في دمائهم ويتفاقم أمره في عروقهم أزيد وأكثر خاصّة كلمّا فتح الله على الإسلام فتحاً فإن كان فيه مغنم قالوا ألم نكن معكم وإن كان فيه بلاء وامتحان للمسلمين قالوا ألم نحذرّكم ولقد كفانا الله ما أصابكم[1].

ولكن مهلاً فالركب يتوقفّ والناس في حيرة من أمرهم ترى ماذا يريد زعيم القافلة رسول الله من إيقاف الركب بكلهّ؟

هل ثمّة أمر مهم يودّ إطلاعهم عليه أو أنّ قضيةّ حساسّة أو أمراً

1- قال تعالى في سورة النساء (٤): ١٤١ : { الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللّهِ قَالُواْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُواْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ...}.

طارئاً ربمّا بدره فاستدعاه ممّا اضطره إلى استدعائهم هم الآخرون؟

ولكن الوقت في الظهيرة والحرّ في أوجّه والشمس قائمة في السماء تتوسطّ كبد الأفلاك وما من معين على القيظ سوى الخالق وما من مظلّة تشمل الجمع وتستر الأعين سوى أجفان الموءودها هي تختلج وتستشعر الأمر السيئ.

كان إحساس السوء هذا لا يلازم إلّا من كان يعلم بنيّة الرسول وبحقيقة الأمر الذي لم يعد يخفى على أحد ولكن للتأكيد.

لو كان بيد البعض لما كان لهم أن يسمحوا للرسول بإيقاف هذا الحشد العظيم ؛ لأنّهم يعون أنّ الأمر عظيم وأنّ الرسول لا يقدم على مثل هذا الفعل إلّا لغاية أشرف وأعلى منزلة.. ولكن..

هل كانت الصلاة تعلن عن وقتها ولكن هم يعلمون أنّ الصلاة إن قامت سيقوم الرسول بعدها بمقالة وأخرى وأخرى وهو ما يعنيه سيلقمه قلوب الناس جميعاً وسيؤلب بذلك العالمين باعتبار أنّ بوسعه البوح بما لا يريدون بوحه أمام كلّ هذا الجمع العظيم؟

ولكن أيّ صلاة.. لقد صلوّا في مكةّ

والآن الرحيل إلى المدينة وكلّ من كان معهم عليه أن يستسلم للانقياد صوب سبيله الموصل إياّه نحو باديته وشعاب قبائله وبطاح حواضره وقراه.

ولكن الأمر أعظم..

إنّ الرسول يتوقفّ ويعلن عن حاجته لبناء منبر ويأمر بحقّ به، إنهّ يوصي بصنعه وبسرعة.. تحلقة العيون إليه لا تدري ما يقول، والحناجر تتهافت بالقول، والأسماع تصيخ لتعرف إلى أيّ بشرى أم مصيبة ستستمع..

إنّ الرسول يعتلي المكان والأعين تراقب والقلوب واجفة والحرارة ترتفع في الجماجم قبل أن تلتهب الصدور من روع ما سيقول أو يحدّث:

أوقع شيء؟ أحدث شيء؟ أيريد الرسول أن يخبر عن أمر ما كان أخبر عنه في حجّة الوداع التي أعلن فيها عن قرب رحيله؟ ولهذا كانت قلوب العصابات التي تخبئ تآمرها المحموم ونياتها المأزومة مازالت تعتلج بالسوء وتختمر بصدف الرهان الذي ما عادت تفكر بغيره لأنّه ما كان بوسعها أن تستمع أو تصغي إلى لحن أي صوت عداه!

لقد تهامس الجمع ؛ إنّه يريد أن يفضحنا ويفضح الأمر الذي نخطط له، إنّه يحاول أن يجهض كلّ محاولاتنا المستقبلية للانقضاض على عرشه والاستيلاء على سلطة هذه الدولة التي استطالت إلى شيء لم يكن يتوقّع أمره أيّ امرئ ما حيي ولا حتّى أساطين السياسة والدول في المقاطعات والأصقاع المجاورة.

مرحى لمن سيكون حظّه من هذه الدولة مكانة الرسول وعرشه وسلطانه ؛ فإنّه سيأمر وينهى ويسيطر على العقول والأذهان قبل أن يضع يده على بيت مال المسلمين وأموال العباد وإقطاعيات الأراضي وأصقاع المعمورات وبساتين الأمصار

ونخيل الولايات. سوف يعيّن وينصبّ من يشاء وسوف يعزل من يشاء ويفصل من يشاء. سيكون الوب ّضمنيا ً

والحاكم علنياً!

سوف يحصل على الأصفر والأحمر والأبيض من الذهب والفضّة والأموال. سوف يجني الغنائم ويقتطع الخراج ويستحوذ على أموال الفيء والجزية والضرائب والعمولات وأموال الأصقاع وواردات المصالح من الأمصار والإقطاعيات.

وسوف يختصّ من سيحتلّ مكان الرسول من بعده بأبناء عشيرته والأقربون من أهليه كلّ منصب وموقع مهم. سوف يوزّعهم على الولايات والأمصار والحواضر والقرى والأرياف. سوف يرسلهم بأمر سلطاني لا يختلف عن أوامر قيصر وكسرى وبالتالي سوف يصبح الملك كسروي وقيصري وينحصر الملك في أهله وعشيرته ومعارفه وأصحابه ويستبعد من يكره ويبغض وسوف يقطع الأعطيات والإقطاعيات لمن يحبّ ويهوى وسوف يحرم من يشاء منها ويقطع أرزاق من يشاء من عبيد مملكته.

إنّ الأمر أكبر ممّا يتصوّره المتآمرون والناس عموما.ً

فالأمر مازال بيد الرسول ولا يستطيع أحد أن يتحدّث بشأن من الشؤون التي تؤرقهم ولكن بوسعهم أن يكيدوا ويتآمروا على سلطان من يخلف الرسول وبميسورهم أن يقضّوا مضاجع العالمين قبل أن يقضّ مضاجعهم أمر الرسول واستخلافه علياً!ً

إنّ الوقت يضيع وعليهم أن يتظاهروا بالحبّ والمودّة لرسول الله عله ّيعطف عليهم ويوليهمّ شيئا منً حطام الدنيا ولكن أنى ّ لهم هذا وإنّ

الهوء

على نفسه لبصيرة وهم أعلم الناس بأمر دخائلهم وما يضمرون وهم يعلمون علم اليقين أن محمّد بن عبد الله صلى الله عليه و آله و سلم رسول الله وما ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحي يوحى ، وكم مرة أعلن لهم عن نيّاتهم وما تضمره قلوبهم وما تحكيه جوارحهم وتنطق به افئدتهم. وإذن هو أعرف منهم بنيّاتهم وقرائحهم وما يكنون من أمر في دواخل وبواطن نفوسهم فكيف سيولّيهم ويمنحهم المناصب وهو أعلم بما في نفوسهم وكيف سيستأمنهم على أمور العباد وهو الذي لا يفرق بين أسود وأبيض ولا يفضل عربي على أعجمي؟

وإذن فهو سوف يكون حدّياً معهم إلى أبعد الحدود وسوف لا يمنحهم إلاّ ما يستحقونّه من بيت المال حتى ّولو بلغ أمرهم أمر والي أو حاكم أو حتّى خليفة يستخلفه على أمر المسلمين.

إنّه سوف لا يصيبهم من الذهب والفضّة والأموال والإقطاعيات إلاّ ما سيصيب أضعف خلق الله من المسلمين.

كما أنّ من سيستخلفه سوف لا يكون غير الرسول بل إنّهم أعلم الناس إنهّ ما من أحد يشبه الرسول في أخلاقه وطبعه وصفاته وطبيعة تعامله وصور شمائله أكثر من علي بن أبي طالب، فهو الوصي من بعده، والخليفة الذي سيستخلفه كما

استخلفه بالأمس، وأعلنها مراراً وامرها عملياً حين استخلفه على المدينة كموسى الرسول حين استخلف هارون يخلفه على قومه في غيبته ، كما أنّهم يعلمون أنّ عليا ًلا تأخذه في الله لومة لائم،ولا هو من الذين يقدموّن ويؤخرون شؤون الدولة الإسلامية

وفق

حسابات قهرية أو معادلات تحتمل مجريات يقع في حبائلها الإنسان الطبيعي كأن يتملّكه الحوج فيقبل بأمر عشيرته وقبيلته بتعيين فلان وفلان من الناس على فلان أمر أو منح فلان أكثر من غيره أو تقديم كذا أمر على كذا أمر خدمة لمصالح قبلية أو صواعات فردية أو مصالح شخصية أو أهداف لا تخدم إلّا أشخاصاً معينيّن أو قبائل أو أقواما أًو طوائف دون أخرى وأناس دون آخرين. وهكذا وهلمّ جرا!ً

ولكن كان الأمر يسبق الفوص الزمنية وها هو الرسول وعلي بن أبي طالب يعتلي المكان ويشاركه الوقوف أمام معاشر الأقوام وكلّ كيانات البشر التي كانت في مختلف من الطرق للعودة إلى أمصارها وشعبها ومناخ ركابها وبلدانها حتّى اجتمع العدد الأكبر مثلما كان الرسول ينتظرهم حتّى تراكمت أعدادهم وهم يتآلفّون زمرا زًمرا، ًويتعاقبون على الوقوف فوقا فوًقا. ً

ولكن علينا أن نثير الأجواء ونترك الناس يتذمّرون من حرارة الأجواء ورمضاء التراب وحرّ المكان ووهج الشمس القاتل. فلنشغلهم عن الاستماع إلى ما سيقوله الرسول، وسيقول كلّ من لم يفهم كلام الرسول أو لم يصغ جيداً إليه أو لم يصل إليه صوت الرسول بوضوح إنّ الرسول ما قال إلاّ كلاما ًعاديا وأًنه أًوصانا وأوصى الجمع بحسن الخلق وعدم الاقتتال ونبذ الخلافات وإنهاء كلّ الصواعات.

فلنحرّك في الناس روح التذمرّ ونهيجّ مشاعرهم ونلهي أسماعهم عن هذا الكلام كما كنا ّنفعل أول زمان دعوته حينما كنا ّ نلغو في قرآنه ونرد

السامع عن سمع كلام ربّه! ولنجعل الناس يقومون ويجلسون وينهضون ويقعدون من شدّة الحرّ وضيق المكان، ونوقع في قلوبهم ضرورة أن يتقدّم الجمع صوب الرسول وأن يتكالبوا عليه كي يصيب سمعهم أكبر قدر من وضوح كلامه ويفهمون ما يقول، وهم لا يعلمون أنّنا ما قصدنا من ذلك إلاّ إشغال الجمع بالتجمهر والتحلقّ حول الرسول، وما يعلمون أنهمّ لو صمتوا وسكتوا كان لأفواد الجمع كلّهم أن يستمعوا بوضوح وشفافية إلى ما يحكيه محمدّ بن عبد الله وينطق به ويلقيه على مسامعهم وسيغيب عن بالهم أنّ مجرد هذه الحركات والتقلبّات وتغيير المواقع هو الأساس في إفساد مخططّ محمدّ بن عبد الله، وسيتم لنا بذلك ما نريد من كيد ضدّ علي وبني هاشم وآل الرسول من أبناء فاطمة!

ولكن إنّ الحال يتقضىّ والسحاب ينحسر والناس يستمعون. فمع كل ّهذا اللغو واثارة الفوضى التي اعتملنا فإن الناس بدأوا يصغون أكثر ويفهمون ما يقول ويدركون ما يعلن عنه محمّد !

لقد انجلى الأمر وانكشف الغمام أكثر من ذي قبل.

لقدزال الشك وانهدم كلّ أمل في الوصول إلى الأمل التليد واستمكان المملكة واستحواذ الأنفس على ما تشاء من أهواء مملكية وسلطانية.

ولكن مهلاً فمازال في الأمر متسّع والوقت غير بعيد. شأنه في ذلك كشأن أي أمر باستطاعة أي امرئ منهم أن يقوم به ويأتي به إن هم اتّحدوا في التخطيط له والإيمان به!

فمازال في الوقت متسع للتخطيط لإجهاض كلّ ما يحصل الآن أو يعلنه الرسول ويخطّط له النبي، فإزاء كل تخطيط يجب أن يكمن تخطيط، وفي مقابل كلّ مخطّط يجب أن يكون صراع ضد وّتصديّ معاكس كي يتم إحّباط أفكار الرسول. وايقافِ الخط الذي يمكن أن ينمو في قرارة الأمر إن تمكّن علي بن أبي طالب من الوصول إلى سدةّ الحكم وانِ تمكنّ الرسول من تنفيذ مخطّطه بالكامل وانِ تمكنّ بني هاشم من الوقوف إلى جنب علي بن أبي طالب فسيكون الأمر قبلياً، وستكون ثمة عشائرية تجر بنار الخلافة إلى قرصها وبالتالي ستكون ثمّة موارثة انتقاعيةرغماً عن الأنوف ؛ لأنّ هناك حسنا وحسينا، وهكذا دواليك فسيخلّفها علي لولده الحسن، وهذا الآخر سيخلفها من بعده لولده أو لأخيه الحسين أو ربمّا سيتقاسمها مع أخيه الحسين بالوصاية أو بالحاكمية الزمكانية أو بأيّ وسيلة أخرى.

خلاصة الأمر إنّ القضية تحتاج إلى أكثر ممّا يتصورّه العقل. وما يزيد عن هذا الأمر علينا أن نعلم من يشاركنا مثل هذه الأفكار كي نتوقّاه ونحذر مكره، ونقعد له كلّ مقعد، وآخر كما سنقعد لعلي وبني هاشم ونحاول الإيقاع فيما بينهم أنفسهم قبل أن يوقعوا بنا ويتحدّوا ضدنّا ويؤلبوّا الناس ضد مّعسكرنا وبالتالي سنخسر أموال الغنائم والأصقاع والزكاة والخراج والخمس وغيرها.

ولكن الوقت يضايقهم فعليهم بتكثير العدد من العصابة وتأمين مواردها واستئمانهم على الأسوار وضمّ أكبر عدد من الأنصار إليهم كي

يشتدّ ساعدهم وتقوى تآليفهم المؤلفّة.

ولكن مهلاً فهم لم يتمرّنوا اليوم ولا الساعة ولا اللحظة.

لقد أعدّوا لمثل هذا اليوم أيّاما أخرى تعقبه ومخططّات ليس لها أن تسبق الأمر إلا حّينما يحين موعد قطاف الفاكهة وجني المحاصيل السياسية.

إنّ الحزب السياسي الآن يلعب دوره ويتحرك دون إثارة لوعي الجماعة ومن دون أي تّحريم للأحاسيس أو أي تّفجير للمشاعر أو أي تقليب للموازين أو لظهر المجنّ!

ولكن الرسول مازال يتحدّث وهو يرفع يده بعد أن قبض على يد علي بن أبي طالب ورفعها إلى أعلى حتىّ بان بياض

إبطيهما ، ولكن الكلام كان له وقع عظيم ، وكان يخترق الأسماع كالسهام، وكان يفعل فعله في القلوب ويحرك في الضمائر كلّ ساكن.

بل كان لمثل هذا المشهد أن يعصف بكلّ الأحابيل والمخطّطات غير الإلهية ولقد كان لمثل هذا الوقوف موقعا ًلا يكاد يغرب عن ذاكرة أيّ من الحضور بل إنّ أفكار مثل تلك العصابات كانت تنصهر تلقائيا ًوكانت تستبين أمام قوائحها كم هو هزيل وركيك ما اعتمل في أذهانهم وكم هو أمر مستهان ما استجر في عقولهم وذاب في صدورهم كانصهار الحديد في آذان الظالمين في سقر أيام العذاب من دون أن يشعروا بقيمة العمل المؤلم الذي يقود بهم إلى سافل النيران وحطام الجحيم.

ولكن مازال الصوت الجهوري لرسول الله وهو الذي كان على مشارف التوديع يرنّ في الآذان وها هو جرس صوته يدقّ الآذان في نواعير القلوب التي كانت ملأى بالأعاصير النفسية والأشجان المحمومة والمشاعر الضائقة بكلام المعصوم والنبي الهمام الذي شعروا بأنّه يحاول تهديم كلّ قلاعهم وتبديد كلّ أحلامهم وتحطيم كلّ صروحهم بعد أن يقتلهم من صياصيهم. كما أقتل اليهود!

أوه اليهود إنّهم أعداء الإسلام ومستعدون للتعاون معهم للنيل من رسول الله! فهم موتورون أكثر منهم، فها هو دم حيي لم يجف بعد، وثأره مازال يملأ الصدور بالأحقاد. كيف غابوا عنّا! إنّهم لم يغيبوا عنّا إن بمقدورنا أن نتعاون معهم ونستلم منهم الأموال والقوّة بشرط أن نضمن لهم حقوقهم، وتحقيق ما يأملون دون الإضرار بمصالحنا وأغراضنا، وفي المقابل فعليهم أن يكفّوا عنّا الأذى، وأن يتعاونوا معنا ضد أيّ عدو يتهددنّا، وأن لا يتحالفوا مع من يهيمن على قلبه حب الخلافة والحكم وتسعى إليها نفسه من قبل أن تسعى إليها قدماه!

ولكن الصوت كان يصدح. أي صوت؟

إنّه صوت عظيم يؤثرّ في القلوب الحاقدة من قبل أن يستميل القلوب الطيبة والصادقة بحبهّا.

كيف لهذا الصوت أن يسكت؟ أما آن له أن يصمت ويكفّ. إنّه يعمل عمله ويصنع صنعه في نفوسنا فما بال ما يصنع في نفوس الآخرين من حولنا وما بال ما يحدث في قلوب الناس أجمعين وهم الآن بعد مدّة

وجيزة سيغادرون إلى أوطانهم ويلتحقوا بركبانهم نحو أمصارهم ومواقع أثرهم.

إنّه تحريض معاكس. إنّه يريد وبصوته أن يلقي علينا الواهين والحجج. فلصوته عذوبة رهيبة تملأ الصدور وتحجب عنا كلّ مخطّط وتآمر، بل إنّ جمالية هذا الموقف لتكاد تستحوذ على كل خواطرنا وتلقم مؤامراتنا كل حجارة وأخرى.

فهل هو يعلن بالحرف الواحد:

* فمن كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله!

انتهى الأمر. قضي الأمر! وانهزم إبليس وجنده وكما لو أنّ الوحي حاضر في المجمع وإنّ الرسول لم ينطلق إلاّ من حيث

أمره ربّه وأوحى إليه جبريل.

ولكن مهلاً ما الذي يخبر الجمع به ويبلّغهم إياّه.

* إلّا فليبلّغ الحاضر الغائب!

إنّه أمر إلهي عظيم إنّها ولاية علي بن أبي طالب وحكومة أئمة. كل إمام يستخلف إماما آخَر من بعده. إنها حكومة إلهية صدر مرسومها من عند الربّ، وكان الرسول ممثلاً عنه وها هو يبلغّها بالنيابة عنه إلى أسماع الكل.

إنّ الأمر أخطر ممّا ظننّا. إن الأمر أصعب مما تصورنا.

إنّه خطير للغاية. إنّه يضع ملاك الأمور بيد علي بن أبي طالب، ويطلب من الناس تهنئته بمثل هذه السمة والمقام الذي وهبه إيّاه بأمر الربّ ؛ لإنهّ ما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى. وهو خاتم النبيين وما موسى بأشرف منه، وما كان إبراهيم ولا نوح ولا إسماعيل أو يعقوب أو حتّى آدم بأشرف منه، وهم كانوا قد أوصوا وهو الآخر يوصي.

ولكن مهلاً فإنّ معايير الموقف لتستأخذنا وتقلبّ الأمر حتىّ على وعينا الداخلي، وتتمرد حّتى عّلى مخططاتنّا الداخلية ومعتلجاتنا النفسية الطامحة إلى تغيير الحكم وقلب نظامه واستلابه. استلابه! نعم فليكن استلاباً فما أخذ بالقوّة لا يستوجع إلاّ بالقوة. ولقد استلبنا محمّد زعاماتنا التي كنّا ننعم بها قبل الإسلام وصادر عزنّا وملكنا وسلبنا سلطاننا وبهاء رفعتنا القاهرة!

ولكن مهلاً ثالثاً ورابعا فمحمدّ كان بلغ به الجهد حتىّ نال ما نال فكيف نستلبه حكما كانّ قد استحصله بكده وعّرق جبينه، ولكن أين شيطاني ليلهمني ما أجيب به على ضميري الذي أصبح يستعلي على كلّ طموحاتي.

ولكن حقاً إنّه لولانا ولولا كلّ عوننا ووقوفنا إلى جانبه ما كان لسلطانه أن يبلغ كل هّذا العلو والرفعة. فنحن أيضا لنا الحق في الاستطالة. وإلى متى يجب أن يبقى هذا السلطان في حضن بني هاشم. كفاهم أنّ الرسول كان منهم وأنّهم حكموا بمعيتّه ردحاً من الزمن ودهوا من الدهور. فلقد استوفوا حصصهم وأخذوا حقهّم ،وأكثر من كل نّصيب حالف الأقوام

من الأقارب أو الأباعد!

لقد انفضّ الجمع وانهزم الجمع الآخر!

ولقد هنأ الناس وكبار الصحابة علياً على هذا الأمر فكان أن قدمّ أبو بكر وعمر بن الخطاب يهنئانه ويقول كلّ منهما له :

– بخ بخ لك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة!

وكانت التهاني والتبريكات من العالمين ومن السماء تتوالى من دون أي تهاون أو تأخير.

لقد جاء جبريل إلى الرسول محمّد صلى الله عليه و آله و سلم كما كان جاءه من قبل قليل ومن زمن وفي كلّ الأزمان. والآن جاءه ليلقي عليه تهنئة إلهية ومكرمة ربانية. جاءه يزفّ إليه البشرى والفلاح:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾[1].

فكان للسماء أن تبتهج بمثل هذا اليوم. كما كان للخلق أن يعيدوه وعداً عليهم، كما كان في التوراة والإنجيل مثله!

ولكن ما يحصل اليوم أنّه لأجلى، وأعظم ممّا كان عليه في التوراة

1- المائدة (٥): ٣.

والإنجيل ؛ لإنّه اليوم يتجلّى في إكمال الشريعة وانهاء مرحلة الوحي وتنزيل وانزال الكتاب!

ولقد عاد الناس إلى ديارهم يحملون وإيّاهم هدية السماء.

ها هم قد رحلوا إلى أوطانهم وأمصارهم كما شدّوا الرحال بالأمس من عندها وانطلقوا إلى بيت الله الحرام. ها هم الآن يعودون من حيث قصدوا، وها هم يرجعون وهم يعلمون أنّهم ما رجعوا بخفّي حنين ولا كان لهم أن يقفلوا عائدين خالين الوفاض بل مزوّدين بالخيرات والبركات. خيرات ولاية علي بن أبي طالب وبركات ولاية الأئمّة المعصومين من ولده حتىّ قيام صاحب الأمر!

الفصل السادس

رواة حديث الغدير من الصحابة

روى حديث الغدير (١١٠) أشخاص من الصحابة، نذكر أسماءهم هنا، ولمعرفة التفاصيل عنهم، راجع الغدير ١: ١٤ – ٦٠

(١) أبو هريرة الدوسي

(٢) أبو ليلى الأنصاري

(٣) أبو زينب بن عوف الأنصاري

(٤) أبو فضالة الأنصاري

(٥) أبو قدّامة الأنصاري

(٦) أبو عمرة بن عمرو بن محصن الأنصاري

(٧) أبو الهيثم بن التيهان

(٨) أبو رافع القبطي

(٩) أبو ذؤيب خويلد بن خالد بن محرث الهذلي

(١٠) الخليفة الأول أبو بكر بن أبي قحافة التيمي

(١١) أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي

(١٢) أُبي بن كعب الأنصاري الخزرجي

(١٣) أسعد بن زرارة الأنصاري

(١٤) أسماء بنت عميس الخثعمية

(١٥) أم سلمة

(١٦) أم هاني بنت أبي طالب

(١٧) أبو حمزة أنس بن مالك الأنصاري الخزرجي

(١٨) البراء بن عازب الأنصاري الأوسي

(١٩) بريدة بن الحصيب أبو سهل الأسلمي

(٢٠) أبو سعيد ثابت بن وديعة الأنصاري الخزرجي

(٢١) جابر بن سمرة بن جنادة أبو سليمان السوائي

(٢٢) جابر بن عبد الله الأنصاري

(٢٣) جبلة بن عمرو الأنصاري

(٢٤) جبير بن مطعم بن عدي القرشي النوفلي

(٢٥) جرير بن عبد الله بن جابر البجلي

(٢٦) أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري

(٢٧) أبو جنيدة جندع بن عمرو بن مازن الأنصاري

(٢٨) حبة بن جوين أبو قدامة العرني البجلي

(٢٩) حبشي بن جنادة السلولي

(٣٠) حبيب بن بديل بن ورقاء الخزاعي

(٣١) حذيفة بن أسيد أبو سريحة الغفاري

(٣٢) حذيفة بن اليمان اليماني

(٣٣) حسان بن ثابت

(٣٤) الإمام المجتبى الحسن عليه السلام

(٣٥) الإمام السبط الحسين الشهيد عليه السلام

(٣٦) أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري

(٣٧) أبو سليمان خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي

(٣٨) خزيمة بن ثابت الأنصاري

(٣٩) أبو شريح خويلد

(٤٠)رفاعة بن عبد المنذر الأنصاري

(٤١) الزبير بن العوام القرشي

(٤٢)زيد بن أرقم الأنصاري الخزرجي

(٤٣) أبو سعيد زيد بن ثابت

(٤٤)زيد (يزيد) بن شراحيل الأنصاري

(٤٥)زيد بن عبد الله الأنصاري

(٤٦) أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص

(٤٧) سعد بن جنادة العوفي

(٤٨) سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي

(٤٩) أبو سعيد سعد بن مالك الأنصاري الخدري

(٥٠) سعيد بن زيد القرشي العدوي

(٥١) سعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري

(٥٢) أبو عبد الله سلمان الفارسي

(٥٣) أبو مسلم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي

(٥٤) أبو سليمان سمرة بن جندب الفزاري

(٥٥) سهل بن حنيف الأنصاري الأوسي

(٥٦) أبو العبّاس سهل بن سعد الأنصاري الخزرجي الساعدي

(٥٧) أبو إمامة الصدي ابن عجلان الباهلي

(٥٨) ضمرة الأسدي

(٥٩) طلحة بن عبيد الله التميمي

(٦٠) عامر بن عمير النمري

(٦١) عامر بن ليلى بن ضمرة

(٦٢) عامر بن ليلى الغفاري

(٦٣) أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي

(٦٤) عائشة بنت أبي بكر بن أبي قحافة

(٦٥) العبّاس بن عبد المطلب بن هاشم

(٦٦) عبد الرحمن بن عبدرب الأنصاري

(٦٧) أبو محمّد عبد الرحمن بن عوف القرشي الزهري

(٦٨) عبد الرحمن بن يعمر الديلي

(٦٩) عبد الله بن أبي عبد الأسد المخزومي

(٧٠) عبد الله بن بديل بن ورقاء سيّد خزاعة

(٧١) عبد الله بن بشير [بسر] المازني

(٧٢) عبد الله بن ثابت الأنصاري

(٧٣) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي

(٧٤) عبد الله بن حنطب القرشي المخزومي

(٧٥) عبد الله بن ربيعة

(٧٦) عبد الله بن عباس

(٧٧) عبد الله بن أبي أوفى علقمة الأسلمي

(٧٨) عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي

(٧٩) أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود الهذلي

(٨٠) عبد الله بن ياميل

(٨١) الخليفة الثالث عثمان بن عفان

(٨٢) عبيد بن عازب الأنصاري

(٨٣) أبو طريف عدي بن حاتم

(٨٤) عطية بن بشير [بسر] المازني

(٨٥) عقبة بن عامر الجهني

(٨٦) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

(٨٧) أبو اليقظان عمار بن ياسر العنسي

(٨٨) عمارة الخزرجي الأنصاري

(٨٩) عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي

(٩٠) الخليفة الثاني عمر بن الخطاب

(٩١) أبو نجيد عمران بن حصين الخزاعي

(٩٢) عمرو بن الحمق الخزاعي الكوفي

(٩٣) عمرو بن شراحيل

(٩٤) عمرو بن العاص

(٩٥) عمرو بن مرّة الجهني

(٩٦) الصديقة فاطمة بنت النبي الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم

(٩٧) فاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب

(٩٨) قيس بن ثابت بن شمّاس الأنصاري

(٩٩) قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي

(١٠٠) أبو محمّد كعب بن عجرة الأنصاري المدني

(١٠١) أبو سليمان مالك بن الحويرث الليثي

(١٠٢) المقداد بن عمرو الكندي الزهري

(١٠٣) ناجيّة بن عمرو الخزاعي

(١٠٤) أبو برزة فضلة بن عتبة الأسلمي

(١٠٥) نعمان بن عجلان الأنصاري

(١٠٦) هاشم المرقال ابن عتبة بن أبي وقّاص الزهري

(١٠٧) أبو وسمة وحشي بن حرب الحبشي الحمصي

(١٠٨) وهب بن حمزة

(١٠٩) أبو جحيفة وهب بن عبد الله السوائي

(١١٠) أبو مرزم يعلى بن مرّة بن وهب الثقفي

خاتمة

مشكلة الغدير المعاصرة

أمّا مشكلتنا اليوم مع ذكرى الغدير العظمى ووحيه الأمثل ومصاديقه الأجلى هي ليست في مواجهة ظاهرة الغدير لفلسفة بقائها ودوامها وكيفيّة تواصلها حتّى مع أضدادها من القوائن المحاربة لأسسها إذ إنّ الأزمة الحالية تكاد تعبرّ عن صدى أقوى من حيث إنّ الفكرة ما زال تعبرّ عن جدواها الصدوق في التعيين التاريخي غير الشامل لكلّ جذور المعضلة والتي لا زال تقوم بكلّ أشكالها المتعدّدة، سيمّا حينما تشتق لّها صورا أخَرى تكاد تسحق كل ضّياءات الإنسان حينما يجد أن الأزمة تتفاقم وتسابق كلّ آجالها غير الممكنة ذلك حين تعبرّ عن صراع ذاتي يكاد يقتون بكلّ مساجلات الفعل الداخلي في النفس الواحدة من حيث تشابك الأنسجة الحياتية والتي تكاد تؤدّي بالإنسان إلى تواجد حيثي لابدّ وأن يرتبط به حتّى لو كان غير ممكن – كما لو كان يحسب أنّه يحسن صنعاً ويدعي الوصل بليلى

الغدير خصوصاً وأنّ مواصفات الزمان لها أن تعكس أجزاء متكاملة من التصالب مع المنحى الشخصي للإنسان المعاصر

كيف؟

ومتى؟

لا يحدث مثل هذا إلّا حينما نجد وفي اليوم أنّ مشكلة الغدير تتفاقم جداً حينما نجد أن الضغوط المتوجهة صوب الغدير وذكراه وأسسه وقوانينه تكاد تتضاعف بمضاعفة الشق والشروخ الحادثين في نفس الوجود المذهبي وذلك حينما تتعارض آراء الفكر لدى نفس أصحاب المذهب وعند ذات الشخوص الذين لا يُحسبون على خارج المذهب وإنّما يفترض أن يحسبوا بالقوة وبالفعل على داخلياته الممكنة وغير الممكنة!

فإن كان الغدير يتعرّض إلى محنة من خارج كلّ الحدود المأمونة داخلها فإنهّ ربماً تعرضّ إلى شبهات لا تصدر إلا منّ نفس بيته ومن نفس رجالات يمكن أن يضافوا إلى مدافعين عنه سيّما حين يحدث الشتات في الفكرة والشقاق في داخل فكرة نفس المذهب الواحد وتتعدّد الآراء.

وهنا يقم التناحر الداخلي في واحد الغدير في زمن غير مأمون بل مأهول بكلّ العدائيّات الخارجية والمتربصّة بهذه

الولاية العظيمة التي يمكن أن تكتنز كلّ معاني النفس الغديرية في ذاتها الشخصية الخاصّة والعامةّ والذاتية والمطلقة.

ثمّ الأكثر دهاء ومرارة لمثل هذا الدهر الخؤون هو أن ينفث سمومه في شكل آخر وذلك حينما يتسابق بعض المحسوبين على المذهب من أجل أن يستثمروا مواد علمية بحتة لكي يعكسوا على أنفسهم هالة من الإشعاع سيّما حينما يتمّ الارتقاء بأساميهم وقتما يعلنون عن رُمات تاريخية وفكرية تنال من نفس المذهب وموجودة في نفس أفكار المذهب ليعبّر عنها الآخرين باسم شبهات لم يؤها أعداء المذهب بل أثارها أناس ممّن يحسبون على نفس المذهب وينتمون إلى يوم الغدير ويؤرّخون ولاداتهم الحقيقية في يوم الغدير!

نتمنّى من الله العزيز الجبار والرحمن الرحيم أن يهدينا لأحسن من هذا رشداً، وأن يصلح بين قلوب المسلمين كافةّ ، وأن يجعل من مناسبة يوم الغدير فرصة للتآخي بين كافّة الإخوة في الدين من جميع المذاهب الإسلامية وفقّنا الله لخير الإنسانية جمعاء ، إنّه هو السميع العليم.

تمّ الكتاب بعونه تعالى